توظيف الرؤية الإسلامية للثقافة اليهودية في الدفاع عن القدس في شعر أحمد صالح الصالح

د. محمود إسماعيل عمار
قسم الأدب ـ كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

تصاب اللغة مع كثرة التداول والاستعمال بنوع من الجمود ، وتحيلها الألفة إلى لغة يومية ، ولهذا عمد الشعراء المعاصرون إلى تقانات جديدة في التعبير الفني ، قوامه استرفاد عناصر التراث التاريخي والديني والأدبي ، بما فيها من أحداث وشخصيات ووقائع ونصوص ، وإسقاطها على الواقع المعاصر في أبعاده المختلفة ، مما يمنح الواقع بعدا دلالياً وتصورياً عميقاً .. وقد أفاد الشاعر أحمد الصالح من هذه التقانة الفنية ، وانعكست في شعره الوطني والقومي ، ودفاعه عن القدس ، فاسترفد مفردات من الثقافة اليهودية وردت في أوعية الفكر الإسلامي ، ووظفها في الوصول إلى غرضه في تعبير فني ومنظور إسلامي ، وفي ضوء ذلك استلهم شخصيات يهودية معاصرة ، وأخرى تراثية ، وأمكنة وأزمنة لها دور في تاريخ بني إسرائيل وعقائد وشعائر لهم ورد ذكرها في التراث الإسلامي ، وقصصاً قرآنياً يتصل بتاريخهم كقصة يوسف عليه السلام والسامري وبلقيس ، واستطاع أن يربط ذلك بمظاهر الصراع ، وأن يسقطه على الأحداث المعاصرة ، وأن يجعل منه معدلاً موضوعياً لتطور القضية ومراحلها التاريخية ، وتميز شعره في هذا الجانب بمجموعة من الخصائص الفنية التي جاء ذكرها في نهاية البحث .

مقدمة :

اللغة مصطلحات وضعية تتوارثها الأجيال ، غير قابلة للتبدل السريع ، والتغير المتجدد ، يعكف أبناؤها عليها بالتداول والاستعمال ، ولهذا تصاب كثير من المفردات بما يمكن أن يسمى " الاستهلاك " ، ويلحق بعض تعبيراتها " الامتهان والابتذال" ، وتحيلها الألفة إلى لغة جامدة ، تحدُّ من مرونة اللغة ، كما تحد من قدرة الصور المجازية أحياناً ، وتفقد كثيراً من عناصر الإثارة والإدهاش ، وتقل قدرتها على التعبير ، وتضيق عن أغراض الفن والتأثير ، وتتحول الصور الفنية عموماً إلى قدر من الثبات الذي يكاد يُلحقها بالحقائق ، ولو تأملنا ما نكتبه لاكتشفنا أن كثيراً منه كان في الأصل صوراً مجازية ، فقدت دلالتها وجمالها بالاستعمال ، وبهذا يموت في اللغة كثير من الصيغ والتراكيب البديعة السامية ..

وقد بحث الشعراء المعاصرون عن لغة بديلة / مساعدة ، تجري فيها الدماء ، وتتحرك الأشباح ، ويتكثّف المعنى ، وتستطيل الصورة وتعمق .. وتصادف دهشة المتلقي ، وذهول السامع ، وعجب القارئ .. فاتّكأوا على إيراد الشخصيات والأحداث والقصص والرموز والأساطير ونحوها " من خلال تقنية الاستلهام – أو التوظيف أو الاستدعاء- الذي يعدّ مرحلة متطورة من مراحل تطور الآلية الفنية لشعرنا الحديث ، كما يمثل الأفق الفني والجمالي الذي وصلت إليه القصيدة المعاصرة "[1] لتخلع هذه الموروثات ثوبها الدلالي على فضاء التعبير ، فتهز النص من أعماقه ، وتحرك فيه شرايين الفكر ، وجمال التصوير " وكل حداثة شعرية

(١) د . محمد عبد الله منور " استلهام الشخصيات الإسلامية .. في الشعر الحديث " ملخص رسالة دكتوراه ، مجلة كليات المعلمين ، مجلة محكمة ، تصدرها وكالة وزارة التربية والتعليم لكليات المعلمين ، الرياض ، محرم ١٤٢٢ ، ص : (١٧٢) .

تراهن على نجاح مشروعها من خلال اشتغالها على منح اللغة طاقات تعبيرية جديدة ، تنجم عن تحريف العلاقات بين الكلمات "[1] .

مسافر وفن التوظيف :

وأحمد صالح الصالح " مسافر " ذو تجربة عميقة رائدة في مجال التوظيف الفني والاستدعاء ، وقد استطاع أن يوظف كثيراً من مخزونات الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية في شعره ، فبرزت في صور شتى من القصص التراثي والأحداث التاريخية والمعطيات الدينية والشخصيات والمفاهيم والمصطلحات والأمثال والشعر ، واتخذ من ثقافته التراثية منجماً يحفر فيه لاستخراج " مضامين وأشكال قادرة على حمل رؤاه ، وتجاربه الشخصية ، والتأثير بها في الواقع الذي يعيشه " [2] يبني من ذلك قوالب شعره ، ويصوغ معانيه العميقة ، ويتماهى مع التراث في تكويناته الفكرية وتموجاته الثقافية .

ويقف أحمد الصالح علامة بارزة في الشعر السعودي المعاصر عميقة التجربة والممارسة ، مكتملة الخطوط والمعالم ، واضحة الملامح والسمات ، تفوح نكهته في كل أعماله ، مع تميز شخصيته واستقلال منهجه .

استطاع أن يخلط هذه الرموز والمواد بموضوعه وبنفسه ، ليصنع من هذا المزيج مادة ذات عذوبة ونكهة ، تتحرك في اتجاه الهدف الذي تبنى له القصيدة ، يلتحم فيها الماضي بالحاضر ، وتهشم الدلالات المصطنعة التي تفصل بين الأشياء والمواد والصور ، وأصبح في مقدوره إفراز تشكيلات لغوية متعددة الأبعاد تحتشد في

---

(١) د/ عبد الله الفيفي ، حداثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية ، ص : (٧٩) نادي الرياض الأدبي ١٤٢٦.

(٢) استلهام الشخصيات الإسلامية .. في الشعر الحديث ، مجلة كليات المعلمين ، ص : (١٧٢) بتصرف.

مواجهة المضمون لتقوية نصه ودعم قصيدته .

ومهما تعددت المصطلحات ما بين : توظيف واستدعاء واستلهام واستنطاق.. إلخ .. فإننا لا نختلف على طرافة هذا النهج وجماله في عالم الفن ، وأثره في لغة التعبير .. لأن استنطاق الرموز يلغي الحواجز بين الأشياء ، ويزيل الفواصل ، ويقضي على الفجوات والحدود .. فتتوحد وتتقارب ، ويعضد بعضها بعضا ، وتتولد من هذا الانحراف عن النمطية المألوفة .. شعرية خاصة ، ولغة مدهشة ، بما يحدث من كسر أفق التوقع ، حسب نظرية التوقع عند هانز روبرت ياوس [1] .

ويظهر ذلك عند أحمد الصالح - بكثافة وجلاء - في شعره الوطني والقومي ، وهو رجل عروبي ، ينفعل بالأحداث ، ويتأثر بالشدائد ، ويستجيب للأزمات، وتهيجه المآسي .. مفتوح العقل ، حاضر الحواس ، سريع الاستجابة ، تحتل قضايا العرب والمسلمين عنده مكان الصدارة .

وقد أهمّته قضية فلسطين أرضاً وشعباً ومسجداً وإنسانية ، لاعتبارات دينية وقومية وإنسانية وجغرافية ، وبوصفها القضية المركزية للأمتين العربية والإسلامية فقد تألم لهزيمة سنة (٦٧) ، وبشّ لانتصار مصر في (٧٣) ، وأنّ لاجتياح لبنان في (٨٢) ، وشارك الشعب المحتل ألم الظلم والاحتلال ، وصفق لانطلاق الانتفاضة، وسار معها في كل مراحلها ، وصُورها وأشكالها المتعددة ، وندد بظلم العدو وألاعيبه فيما يسمى بمفاوضات السلام ، وسخَّر كل أدواته الفنية للتعبير عن مواقفه المختلفة ، وعن تعاطفه ومساندته وتأييده .. وقد استوقفني في مطالعاتي المتكررة لديوانه .. كثرة استدعاء رموز من الثقافة اليهودية ، وتوظيف

(١) حداثة النص الشعري في المملكة ، ص : (١٨) .

مفردات من التاريخ العبري ، واستنطاق معالم من الحياة الإسرائيلية ، وتوجيهها لخدمة غرضه في إظهار وجه العدو البشع ، وإبراز الحق العربي ، والدفاع عن المقدسات العربية والإسلامية ، ويمضي في هذا الطريق متخذاً من الأعلام الحديثة والقديمة ، والأحداث في ارتباطها بالزمان والمكان ، ومن العقائد والشعائر اليهودية ، وما قصّه القرآن الكريم من قصص بني إسرائيل .. معادلا موضوعياً لأحداث الساعة ووقائع السياسة المعاصرة ، فلا تبقى هذه العناصر والمعطيات في حدود دلالتها التاريخية والدينية ، ولكنها تمتد مع الواقع ، وتلبس لبوسه ، وتعطيه لونها ونكهتها المعتقة ، المشعشعة بالدلالات ، ومن هنا تزدوج الدلالة من خلال نظرة ذات طبيعة شمولية متحركة .

وربما لا نجد هذه العناصر عند شاعر آخر ، على هذا النحو من الغزارة والدقة والكثافة والاستلهام كما نجدها عند " مسافر" ، وهذا الذي دفعني إلى كتابة هذا البحث ، وتسجيل هذه الظاهرة المتميزة .

وليس من شك في أن المنتج الإبداعي .. يعدُّ تعبيراً عن لحظة حضارية جمعت في خلاياها قدراً كبيراً من جينات الهوية الإبداعية للأمة .. عن طريق فرد متميز ، هو الشاعر أو الفنان عموماً ، الذي استطاع أن يلتقط سمات هذه اللحظة ، وأن يشحنها بعواطفه ، ونبض أمته ، لتعكس مفردات فكرية تمس الروح الإنسانية للجماعة ، وتحلق بها في سماء الفكر والإبداع [1] ، من هنا كان التقاط أحمد الصالح هذه العناصر والأبجديات من الثقافة والحياة اليهودية ، وتسخيرها في الحديث عن القدس .. يصور نبض الشارع والرأي العام العربي في كل أصقاعه وديارة .

(١) د. عبد المعطي صالح ، بحث " الحوار الشعري - بين ثلاثة شعراء" بتصرف ، مجلة فيلولوجي / مجلة محكمة ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ، عدد يناير ٢٠٠٧ .

وأود أن أوضح أن هذه العناصر موثقة بالواقع ، وبمعرفتنا بها ، ومستمدة من نصوص موثقة غير قابلة للرد أو الرفض ، وليست أساطير أو حكايات ، ومن هنا تأتي الصعوبة في التعامل معها ، وتوجيهها على نحو فني معبر ومظلل بالدلالة .. لأن فرصة التحريف في الأسطورة لتداعيات التعبير ممكنة ، بخلاف ما نحن فيه ، غير أن الصالح ساق هذه المفردات بطريقة تعبيرية استوعبت كثيراً من لغة الفكر ، ومحطات الصراع ، ومراحل الدفاع عن الحق ، بعيداً عن المباشرة والخطاب ، ونمطية التاريخ والسرد .

ومحاولة الحفر عن عناصر التوظيف ، وتوظيف العناصر في موضوع محدد الزمان والمكان والهدف هو القدس وفلسطين تقودنا إلى الحديث عن النقاط التالية :

الشخصيات المعاصرة :

برزت على مسرح الحوادث شخصيات يهودية ، كان لها دور كبير على مجرى الصراع العربي الإسرائيلي ، واحتلت مكاناً في تاريخ العلاقات بين الطرفين ، لا يمكن للمؤرخ أن يتجاوزه أو يتجاهله .. لكن هذا شيء ، وما فعله " مسافر" في شعره شيء آخر.. لقد أخرج هذه الشخصيات من نطاق واقعها التاريخي ، أو مسارها السياسي ، إلى فضاء العمل الفني الخصب ، وخلع عليها طابعاً أسطورياً ، يتماشى مع مهمة التوظيف بظلالها الوارفة ، فالشاعر يسعى إلى " استخدام تلك الشخصيات باستدعاء أخبارها وملامحها وصفاتها ومواقفها وأقوالها.. وتوظيفها في شعره للتعبير عن تجربته الشعرية المعاصرة ، بشكل فني ومؤثر في قضايا واقعه ، الذي يعيشه ويحياه [1].

(١) استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر الحديث ، مجلة كليات المعلمين ، ص : (١٧٠)

" موشيه دايان ١٩١٥- ١٩٨١" رئيس الأركان ثم وزير الدفاع ، الذي قاد حروباً طاحنة مع العرب في (٤٨) و(٧٣) ، وضرب المطارات المصرية صباح أول يوم في حرب (٦٧) فشلّ قوة الطيران عصب الحروب المعاصرة ، واحتلّ أرضين شاسعة من دول الطوق العربية ، وحقق حلم اليهود بالسيطرة على القدس والمسجد الأقصى ، وأنجز اليهود على يديه كثيراً من المكاسب والانتصارات ، وصنع لدولته وقومه المجد الحربي والعسكري ، وتمثلت فيه الشراسة الإسرائيلية ، يصبح رمزاً لهذه الدولة المعتدية ، يقول الشاعر[1]:

فتذكّر .. أنَّ للذكرى حديثاً
قبلَ أن تُطوَى .. فصولُ الوطنِ المذبوح
بينَ البحرِ والبحر
تذكّر .. أنَّ غِرناطةَ كانت عَربيّة
وتذكّر ..!!
صارَ في القدسِ .. " لدايان "
عَشيقاتٌ .. وبيتٌ
ولهُ أصبحَ في القدسِ هُويّة

وأن يكون لدايان .. ولكل يهودي .. في القدس عشيقات وبيت .. عنوان الطمأنينة والاستقرار .. وأن يكون له في القدس هوية .. دليل التملك والانفراد.. وهذا هو الانتحار للأمة ، ونهاية فصول المسرحية ، وضياع الوطن من البحر إلى

(١) أحمد صالح الصالح ، قصيدة : " أين وجهي " ، المجموعة الأولى ، ص : (١٩٦- ١٩٧) سنة ١٤٢٥ولم يحدد الناشر وديوانه : انتفضي أيتها المليحة ص (١٢- ١٣) دار العلوم ، الرياض ، سنة ١٤٠٣.

البحر.. كما ضاعت غرناطة .. فدايان بأعماله أصبح رمزاً لقوة العدو وعنفوانه، وكل بادرة انتصار هي انتصار على هذه القوة الغاشمة ، فحين اقتحم الجيش المصري قناة السويس ، وحطم خط بارليف عام (٧٣) في يوم الغفران ، كان ذلك سقوطاً لطقوس اليهود وقوتهم ، وطمساً لإثم يمثله موشيه دايان ببقاء الاحتلال [١] :

سقطَ الغُفرانُ .. مقتولاً

ودايان .. ؟

كإثمٍ حلَّ بالشَّرقِ .. وَيَرحل

غَبَشت أحداقُ جيشِ الوَهم

عبور القناة ، وتحرير سيناء إعادة لأمجاد الأمة ، وانتصار لرموزها على رموز البغي والعدوان .. هو انتصار لصلاح الدين على دايان ، وعودة للأمن والثراء والاستقرار وحرية الأديان :

سقطَ الغُفرانُ .. ؟

هل يدخلُ بعدَ اليومِ .. للمِحرابِ عيسى

والعذارَى ..؟ هل يُجَرجرنَ .. الذيولا

وصلاحُ الدين ..؟

هل يقتادُ .. دايانَ ؟

ويستعرضُ في القدسِ

الخيولا..

وجولدا مائير من المؤسسين لدولة إسرائيل ، والأعضاء البارزين والمؤثرين في

---

(١) قصيدة " قراءة في يوم الغفران " المجموعة الأولى ص : (٤٨- ٥١) وديوانه : عندما يسقط العراف ص : (٥١) دار المريخ الرياض ، القاهرة سنة ١٣٩٨.

سياستها ، رأست الحكومة الإسرائيلية (٦٩- ٧٣) ، وعمل معها دايان في حرب (٧٣) ، وحقق كثيراً من الإنجازات بالتعاون معها ، وعلى الرغم من أن اتفاقية كامب ديفيد وقعت مع بيجن سنة (٧٩) إلا أن الشاعر في قصيدة " الخطبة الأخيرة على أسوار بابليون " يستدعي اسم رئيسة الوزراء مستشعراً دورها الخطير[١] :

مَنْ هذا المَخذولُ .. ؟!
تدوسُ الخيلُ قَفاه
ويشربُ " نخبَ " الحُزنِ
ينادمُ " مائير "
يُغَنِّيها أشعارَ الضِّلّيل
من هذا .. ؟ ؟

فالتعبير" تدوس الخيل قفاه " : يجسد حالة الهزيمة المعنوية والحسية ، فالخيل لا تدوس على هذا النحو إلا فاراً مهزوماً موليا ، وفي حالة غيبوبة ينادم خصمه ، ويدخل عليه السرور بامتهان التاريخ العربي ، والتنازل عن أمجاد الأمة ، ويغني جليسه - أو جليسته - بأشعار امرئ القيس ، وفي الجمع بين امرئ القيس ومائير على تباعد الزمن ما يخرج امرأ القيس عن كونه شخصية محدودة إلى كونه مثلاً لشخصية معربدة تمتزج بها شخصية مائير لتكتسب منها أبرز خصائصها ، فلم تعد مائير أيضاً شخصية محدودة ، هي رئيسة وزراء إسرائيل ، بل شخصية معربدة تهزأ بالقيم والفضائل ، ويجمع النص بين الحزن والمنادمة ، وفي ذلك مفارقة

(١) المجموعة الأولى ص : (٢٢٥) وديوان : " انتفضي أيتها المليحة" ص : (٥٣) .

لطيفة، لما بينهما من التباعد والاختلاف ..

ومناحيم بيجن ١٩١٣- ١٩٩٢رأس الوزارة (٧٧- ١٩٨٣) وهو زعيم جماعة أرجون الإرهابية وحركة بيتا الصهيونية ، نفذ مجزرتي دير ياسين وبئر السبع حسب اعترافه في كتاب" الثورة " من تأليفه[١] ، وبمشورته تمت مجزرة صبرا وشاتيلا وقّع الاتفاقية في كامب ديفيد، وقد فتح له ذلك - حالاً أو مستقبلاً- أبواب العالم العربي ليتوغل فيه كما يشاء ، ويفرض سيطرته على مقدراته ، ويحكم قبضته على سياسته ، ويتدخل في شؤونه ، ويوجه اقتصاده ، يقول مسافر في القصيدة السابقة :

انتظروا .. ؟! عاماً .. أو عامين
انتظروا .. ؟! خمسةَ أعوامٍ .. لا اثنين
انتظروا .. ؟! مَنْ يَدري كَم تَنتظرون
تأتيـكُم .. ؟! مائدةٌ في شِسعِ حِذاءٍ مَلعون
تأتيـكُم .. ؟! " حيتانُ السبت " وَيستحييكُم " بيجن "
أو يستحييكُم " فِرعون "
انتظروا .. ؟! إنْ شئتم أو شاءت عِزَّةُ فِرعَون

يستحييكم بيجن .. يستحييكم فرعون .. من الآية الكريمة في الحديث عن بني إسرائيل ﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [الأعراف ١٤١] ، تتوحد الشخصيتان ويتوحد الفعل ، وتذوب الفوارق ، ويفعل بيجن بكم ، ما فعله فرعون ببني إسرائيل وما يمكن أن يفعله بكم أيضاً.. وقد جاء هذا الفعل "

(١) مواقع متعددة على شبكة الإنترنت ، انظر على سبيل المثال موقع " نداء القدس " .

يستحيي" في القرآن الكريم بهذا المعنى ست مرات، مفعوله " نساءكم أو نساءهم"، مما يدل أنه مختص بالنساء وفي إيقاع الفعل عند الشاعر على كاف الخطاب وميم الجماعة (كم) ما يشير إلى أنه ينزل المخاطبين هذه المنزلة .. وقوله: " عزة فرعون " يذكرنا بقسم السحرة في تحدي موسى ﴿ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء ٤٤] وسنعود لهذا المقطع لعرض ما فيه من مفردات الاستدعاء ، ويشير الشاعر إلى هذا المعنى في قصيدته " أحزان النخيل في أسوان " حيث يقول[1] :

تمتّع " أبا المسكِ " بالعار
" بيجن " يُقرئكَ السام
يسطو بكلِّ مغاليقِ قصرِك
يرقدُ بينَ الثِّياب
ويرقدُ تحتَ تجاعيدِ جسمِك

وهذا الوصف الأسطوري الذي وصف به " بيجن " : يملك مفاتيح القصور .. يندس تحت الثياب .. يكمن في تجاعيد الجسد ، هو أدق تصوير لما تطمح إليه إسرائيل ، من النفوذ في العالم العربي باختراق الحدود النفسية والجغرافية ، من غير رغبة حقيقية في السلام، وما يجري على لسان " بيجن " حسب الشاعر هو " السام " وهي العبارة المألوفة من تحية اليهود للمسلمين ، وفي الحديث: " أن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم ، فإنما يقول : السام عليكم "[2] ، وكذلك كانوا يفعلون مع النبي ، مما أثار غضب عائشة رضي الله عنها ، وهو سلام في الظاهر ،

---

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٢٣٠) وديوان : " انتفضي أيتها المليحة " ص : (٥٩) .

(٢) انظر : سنن الترمذي ، الحديث رقم (٣٣٢٣) وسنن الدارمي ، الحديث رقم (٢٥٢١) وموطأ مالك ، الحديث رقم (١٥١٤) وأحاديث أخرى في القرطبي كما سيأتي.

ودعاء في الباطن لأن " السام " في اللغة : الموت[1] ، ولهذا أنزل الله تعالى في كتابه ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة : ٨] [2] ، وهو تعبير عن استمرار طبيعة الغدر واللؤم والخداع في السياسة الإسرائيلية ..ومما يصور حالة الهزيمة ، والخوف من سيطرة اليهود على المنطقة ، قول الشاعر في إحدى قصائده[3] :

الآنَ .. ليلَى العامريّة

قد تسرَّاها اليهود

وجيشُ هولاكو ..؟؟

أذابَ خزائنَ الأسفارِ في ماءِ الفُرات

" ليلى العامرية قد تسراها اليهود ".. و" يستحييكم بيجن" تعبيران يغترفان من معين واحد ويحملان النكهة نفسها .. وقد اشتهر اليهود بتوظيف النساء للحصول على مآربهم ، بنشر الرذيلة والموبقات ، واستغلال الغرائز والشهوات ، وجنّدت الحركة الصهيونية المرأة لخدمة أغراضها بالإغراء والاتجار بالجنس ، والزيجات السياسية للتجسس على قصور الحكام ، ومراكز القرار ، والسيطرة على عقول الناس ، وتوجيه الرأي العام ، وتحدث الكومندور" وليم كار" ضابط المخابرات الأمريكية السابق كثيراً عن دور المرأة في تحقيق المخططات الإسرائيلية ،

---

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور ، والمعجم الوسيط ، والمنجد ، مادة : " سام " وفي الحديث : " الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام " قيل : وما السام ؟ قال الموت .

(٢) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٩٢ تفسير الآية والأحاديث التي ذكرها ، دار الفكر بيروت د.ت .

(٣) د. محمود إسماعيل عمار ، صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي ، ص : (٣١٦) نادي أبها الأدبي ١٤٢٤.

بالخنا والفحش والنوادي الليلية ، واصطياد كبار الشخصيات ، وشراء الذمم ، في أمكنة عديدة من العالم ، وفي فترات متعاقبة من التاريخ [١] ، وفي بروتوكولات حكماء صهيون ما يؤيد هذه الحقيقة [٢] .. يشير أحمد الصالح إلى هذا الدور قائلاً [٣] :

وراحيلُ .. ؟ ؟
تبيعُ الشهوةَ السيَّاحَ في القُدس
تبيعُ الليلَ .. ؟ ؟
مذبوحاً علَى صدرٍ منَ اللذَّة

" راحيل " اسم يهودي صميم ، شائع بين اليهود ، وهو هنا رمز للأنثى الإسرائيلية ، انتقل به الشاعر من التعريف إلى التنكير ، ومن العلمية إلى التعميم .. وفي التوراة أن " راحيل " اسم إحدى زوجات يعقوب ، وهي ابنة خاله في الأصل ، وقد دفع مهرها سبع سنين عملاً عند أبيها (خاله) لابان ، وكانت حظية عند يعقوب ، يحبها أكثر من نسائه الأخريات ، أنجبت له اثنين من الأبناء هما يوسف وبنيامين ، ومن هنا جاء حبه ليوسف ، كما جاء الحسن ليوسف من أمه " راحيل "[٤].

---

(١) انظر كتابه : " الدنيا لعبة إسرائيل : الصفحات : (٩١ ، ١٠٧ ، ١٧٨ ، ٢١١) وغيرها ، الترجمة العربية (لم يذكر اسم المترجم) بتوجيه الشيخ / حسن بن عبد الله بن الشيخ الناشر : كولوز فيوز كومباني ، بيروت ، د.ت .

(٢) انظر على سبيل المثال الصفحات : (١٥٥ ، ١٩٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦) وغيرها .

(٣) المجموعة الأولى ، ص : (٤٨) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٤٩) .

(٤) انظر : مقارنة الأديان : اليهودية ، ص : (١٦٨) مكتبة النهضة المصرية ٧/ ١٩٨٢وفيه أن يعقوب خدعه خاله فزوجه " ليئة "ثم زوجه أختها " راحيل " فجمع بين الأختين .

الشخصيات التراثية :

انطلاقاً من حالة الضعف العربي المنكسر أمام القوة الإسرائيلية ، في أكثر الحروب التي جمعت بين الطرفين ، وتعويضاً عن الإحساس بالهزيمة ، وعدم القدرة على المواجهة .. استدعى الشاعر شخصيات تاريخية ، كان لها مواقف صارمة في التعامل مع اليهود.

" نبوخذ نصر" أو " بختنصر " كما تسميه بعض المصادر .. ملك بابلي حكم بين (٦٠٥- ٥٦٢) ق . م ، غزا مملكة يهودا (جودايا) سنة (٥٩٧) ق . م ، وأخذ معه إلى بابل ملكها " صدقيا بن بواقيم " وعشرة آلاف رهينة من السكان، وأقام على المملكة - التي أصبحت تابعة له - ملكاً جديداً ، أقسم له يمين الولاء ، ولكنه ما لبث أن تمرّد وأعلن الثورة ، فجاء نبوخذ نصر مرة أخرى ، وأخمد ثورتهم سنة (٥٨٧) ق . م ، بطريقة أشد من المرة السابقة ، وقتل ملكهم ، وحطم القدس ، واستولى على محتوياتها ، ودمّر هيكل سليمان ، وفرّ كثير من اليهود إلى البلاد المجاورة (مصر والحجاز واليمن وغيرها) وسبى نبوخذ نصر من بقي منهم ، وساقهم إلى بابل أسرى ، ليقمع أسباب الفتنة ، ويقطع دابر الفساد ، فخلت البلاد من اليهود تماماً ، وهذا ما يعرف في التاريخ بـ " الأسر البابلي " [(١)].

وبعد عشرة قرون تقريباً ، وفي التاريخ الإسلامي ، وقعت لليهود حادثة مشابهة ، فقد نقضوا عهدهم الذي وقّعوه مع رسول الله ﷺ عند قدومه إلى المدينة، ودعوا قريشاً وغطفان وغيرهم لحربه ، واستئصال دعوته ، وأثاروا عليه

(١) شفيق غربال وزملاؤه ، الموسوعة العربية (نبوخذ نصر) دار نهضة لبنان ، بيروت ١٤٠٦ود/ أحمد شلبي ، مقارنة الأديان ، اليهودية ، ص : (٨٩)، وظفر الإسلام خان ، تاريخ فلسطين القديم ، ص : (٥٨- ٥٩) دار النفائس ، بيروت ١٣٩٣.

العرب في غزوة الأحزاب ، فلما صرف الله الحلفاء ، لم ينالوا خيرا ، أمر الله نبيه بالتوجه إلى بني قريظة ، لنقضهم العهد ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما جهدهم الحصار ، وقذف في قلوبهم الرعب ، نزلوا على حكم " سعد بن معاذ " رضي الله عنه ، باختيارهم حيث كان بينهم وبين الأوس حلف وولاء في الجاهلية ، فحكم سعد : أن تقتل مقاتلتهم ، وتقسَّم أموالهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد : " حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[1] " وقال : " حييّ بن أخطب النضري " وكان مع بني قريظة : ملحمة كتبها الله على بني إسرائيل [2].

واليهود هم اليهود في كل العصور " يعتقدون أن من يقتل أكثر يستحق الحياة " .. ويشهد تاريخهم " أنهم ما حلوا بأرض إلا وأكثروا فيها الفساد ، وأيقظوا بين الناس شياطين الفتنة" [3] ..

عندما كانوا في مصر .. وعند دخولهم أرض كنعان .. وفي حروبهم مع شعب مؤاب وعمون[4] .. مع موسى وهرون .. مع نبوخذ نصر .. مع الرسول محمدﷺ .. في أوروبا حتى كان الوطن القومي لهم تعبيراً عن ضيق الغرب بهم ، وفي فلسطين حيث المذابح واقتلاع أصحاب الأرض .. هم دائماً قتلة حاقدون ،

---

(١) أي : سموات ، جمع رقيع ، والرقيع السماء ، مثل رغيف وأرغفة.

(٢) انظر الخبر مفصلا : ابن هشام ، السيرة النبوية ٣/ ٢١٤- ٢٧٦ تح / مصطفى السقا وزميليه ، مؤسسة علوم القرآن د.ت ، وانظر السجال في هذا الحكم بين صحته ونفيه : د/ فضل عمار العماري ، العلاقات الأدبية بين العرب واليهود . ص (٧٠- ٩٧) مكتبة التوبة ، الرياض ١٤٢٢/١.

(٣) د. أحمد شلبي ، مقارنة الأديان ، اليهودية ، ص (٦٤) .

(٤) انظر : تاريخ فلسطين القديم ، ص: (٣٣) وما بعدها ، ومقارنة الأديان ، ص: (٧٤ ، ٨٠) واللواء / أحمد عبد الوهاب ، رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام ، ص : (٤٧ ، ٧٤) وغيرها ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٢.

فغيرهم خلقوا لخدمتهم ، ودماء البشر مباحة لهم في كل حين[1] ، وهم دائماً في حاجة إلى القبضة الحازمة ، والحكم الصارم الذي يكفكف غلواءهم ، ويرد عدوانهم .. من هنا كان استدعاء الشاعر أحمد الصالح لشخصيتي نبوخذ نصر وسعد بن معاذ وقفة في وجه التيار الجارف من جرائمهم ومكايدهم ومفاسدهم .

عندما قام شاب فلسطيني ، طرد من بيته ومزرعته ، وألجأه اليهود إلى الخيام واستجداء أهل الإحسان .. بالتسلل إلى فندق إسرائيلي ، أقيم على أرض أجداده ليكون ماخوراً للقمار والنساء واللهو والخمور ، وفجّر الفندق ، هتف شاعرنا[2] :

أتيتُ .. فُجاءةَ .. مَوْتٍ
حلولاً جديداً سيُحْيِي المَواتَ
وَيُلغِي لَديهم قرارَ احتضارِي
" بختنصّر " يأتي ..
ويكتبُ تاريخَهُ من جَديد
ويطلعُ " سعدٌ " ليحكمَ في الجحفلِ الإنكشاريّ

بختنصر وسعد بن معاذ يعودان إلى العصر الحديث في صورة هذا الفدائي ، الذي ذاق على أيدي العصابات الصهيونية النفي والتشريد ، وظنوا أنه مات ، فجاء يكتب تاريخ " بختنصر " في قوته ، ويعيد حكم " سعد بن معاذ " في مقاتلة بني قريظة ، الذين نكثوا العهد ، وغدروا بالمسلمين في ساعات الضيق ، وحصار

---

(١) انظر : د/ روهلنج ، الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة / د . يوسف نصر الله ، ص : (٧٠ ، ٧٦ ، ٩٠) وغيرها ، دار القلم ، دمشق ١٤٠٨ ، والترجمة تمت سنة ١٨٩٨ بعد مؤتمر بال بسويسرا بعام واحد ، وانظر كذلك : بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة / محمد خليفة التونسي ، مواضع متفرقة ، مكتبة دار التراث ١٩٧٧ .

(٢) المجموعة الأولى ص : (٦٣) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٦٥) .

الأحزاب ، ثم تحصنوا في صياصيهم ظناً منهم أن أحداً لن يقدر عليهم ، فكان الفدائي فجأة موت ، يبشر بحياة الموتى ، وبرد الظلم الطافح .. تختلط الشخصيات ، ويذوب بينها الزمن .. وتتشابه الأحداث ، ويتلاشى فيها المكان ..

والشاعر يستعير من سورة الإسراء ما حدث لبني إسرائيل ربما أيام بختنصر على ما يقول بعض المفسرين في تصوير حالة الشتات والوهن العربي [1] :

أهزُّ الرماحَ .. بِصفّينَ غِـرَّاً
أجوسُ خلالَ الدِّيار
يثجُّ نزيفُ الجراحِ زعافَ المصيبة[2]

كأن الخلاف الذي وقع بين المسلمين في صفين في خطره وبعد تأثيره هو ما وقع لليهود في قوله تعالى : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ [الإسراء ٥] ويقول [3] :

سَلَبُوا كافورَ ..
خُفَّيْ – طيِّبَ الذِّكرِ – حُنين
بَعْدَما جاسُوا القلاعَ الفاطِمِيَّة

" ورجع بخفي حنين "[4] مثل يسوقه العرب في اليأس وخيبة المسعى ، والتعبير يشير إلى عدم الرجوع حتى بخفي حنين وهي أقل القليل .. وجاسوا القلاع

(١) المجموعة الأولى ص : (٥٥) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٥٧) .
(٢) ثجّ الماء : سال ، ومنه : " وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا " سورة النبأ آية (١٤) والثج : سيلان دم الهدي .
(٣) المجموعة الأولى ، ص : (٢٢٠) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص (٤٧) .
(٤) الميداني ، مجمع الأمثال ، ٢٩٦/١رقم (١٥٦٨) تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ .

الفاطمية .. كناية عن توغل العدو ، واطلاعه على أسرارنا ، وانتهاك حرمات ومقدسات الأمة ، مع الإشارة إلى آية الإسراء ، وقد أبرز الشاعر من خلال النص التباين بين ما نخسر وما يربح العدو .

كما يستدعي الشاعر شخصيات يهودية اشتهرت بذميم الصفات كالمكر والخداع . أو لعبت دوراً في الفساد والإيقاع بين الفئات .. فقد حدثنا القرآن الكريم عن شخصية قارون ، وكان يهودياً قريباً لموسى ، يعمل لفرعون عاملاً على بني إسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم ، وهذا معنى قوله تعالى : " إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ " وآتاه الله من الغنى والثراء ، " مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ " ، فأصابه التكبر والغرور وكفر النعمة ، و" قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي " [القصص ٧٦ - ٧٨] ، فخسف به وبداره الأرض ، وتنسب إليه بحيرة قارون ، وقصر قارون في الفيوم بمصر [١] .. ونجد الشاعر يمزج بينه وبين الذين يغرون العرب بالرفاهة والغنى إذا تنازلوا عن حقوقهم ، وهادنوا الغاصب ، واعترفوا بإسرائيل ، يقول الشاعر[٢] :

قارونُ .. !
سيمنحُكُم .. ذَهَباً
يَطمِثُ فيكُم .. منكُم عَرَباً [٣]
يكتبُ فِي حاضرِكُم .. نَسَباً

إغراء .. بالذهب .. بالثراء .. أن تصبح الأرض جنات وارفة .. واحات أمن ..

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة (قارون) .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٢٢٤) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٥٢) .

(٣) طمث الرجل امرأته طمثاً من بابي ضرب وقتل : افتضّها وافترعها ، ولا يكون الطمث نكاحاً إلا بالتدمية.

مصانع ومعاهد .. وعود لا حدود لها .. وما هي في الحقيقة إلا الإذلال بعينه ، به تتحول الأمة امرأة ، ينكحونها (كم هو مؤلم هذا الكلام) فتنجب أجيالاً مشوهة وأولاد بغاء ، معنى يتكرر كثيراً عند الصالح كما قال شاعر آخر هو زياد الدريس [1] :

إنَّ اليهودَ استأنثُوا مِنَّا الرِّجال
استَنوَقُوا مِنَّا الجِمال
مَشَوا يَحِزُّونَ الرُّؤوس
ويشربونَ دماءَ طفلِ القُدسِ
في كلِّ السُّهول ..
وكلِّ أوديةِ الرَّسول ..
وفِي الجِبال

ويرى أحمد الصالح أن الخطر لا يقتصر على ما ذكر ، وإنما يتعدى إلى الفكر والضمائر وإثارة الشهوات .. ها هو قارون مازال يمارس عمله [2] :

قارونُ .. ؟ !
تسلَّلَ في دمِكُمْ
مسَّتْ كفَّاهُ .. ضمائرَكُم
قارونُ .. !
استنبحَ فتنتَكُمْ

قارون هنا هو كل خادع طامع مزيف مغرر كذوب .. وأنت تقف على هذه

(١) مجلة المعرفة ،ع (٦٦) ص (١٠٠) قصيدة : (فعيل العرب) وانظر : صورة الحجر ص (٧٣ ، ٢٨٨) .
(٢) المجموعة والديوان كالسابق .

الكلمات المعبرة ، بعيدة الغور ، واسعة الانديا ح ، حتى تسمع عواء الفتنة للحصول على هذه المتع المتوهمة .

وفي قصص بني إسرائيل التي أشار إليها القرآن الكريم ، ما وقع من حرب بين طالوت ، ملك بني إسرائيل ، وجالوت ملك العمالقة ، وكان من أشد المحاربين وأقواهم ، حتى كان يهزم الجيش وحده ، فهزمه طالوت وجنوده ، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة ٢٥١] ، وأصبح جالوت نذير شؤم ، وعلامة انكسار.. يستدعيه الشاعر ليصور به حالة المنهزمين المستسلمين أمام اليهود يقول [١] :

مَنْ هذا المَخذُول .. ؟ !

أحمرُ عادٍ .. هذا .. ؟ !

أم جالوت .. ؟ !

يحملُ أوزارَ بَني إسرائيل

يلهثُ – إن يُحْمَل

يلهثُ – إن يُتْرَك

بئسَ الحاملُ .. والمَحمول

فالنص يوظف هزيمة جالوت ، ويجعلها مثلاً للانكسار الحسي والمعنوي ، ويخلعها على الواقع المعيش ، ويلبسها للأحداث ، ويشير إلى إغراءات الذهب والثراء بالآية الكريمة التي جاءت على لسان بني إسرائيل ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا ﴾ [طه ٨٧] وهل ينفع جالوت ومن على شاكلته أن يأتي بكل أنواع الجواهر بعد الهزيمة والعار؟ .. ويستعين الشاعر بروافد أخرى لتقوية النص ،

---

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٢٢٥) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص (٥٤) .

فالمهزوم يجر على قومه الشؤم كأحمر عاد (ثمود) لأنه عقر الناقة ، كما قال زهير ابن أبي سلمى في الحرب[1] :

فَتُنْتِجْ لكُمْ غِلمانَ أشأمَ كلُّهمْ كأحمَرِ عادٍ ثمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

كما نجد الإشارة في آخر النص إلى الآية الكريمة ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف ١٧٦]

وفي صدر الإسلام قام اليهودي " عبد الله بن سبأ " المعروف بـ " ابن السوداء" بنشاط محموم ضد الإسلام والمسلمين على صعيدين :

- صعيد العقيدة حيث نشر الزندقة والإلحاد والشك ، وروَّج عقيدة تناسخ الأرواح ، ودعا إلى ألوهية علي ، وزعم أنه خلق الأرض وبسط الرزق ، وقال بالرجعة للرسول ﷺ ، وأنه أحق بالرجوع من عيسى ، وكان ابن سبأ حيثما حل في مدينة ، طرده أهلها لفساد مذهبه ، كما حدث له في الحجاز والبصرة والكوفة ودمشق ، حتى استقر به المقام بمصر[2] .
- صعيد الوحدة الوطنية للمسلمين فقد أخذ يؤلّب الناس على عثمان ، ويحرضهم على الثورة ، ويراسل المدن للطعن على الولاة وإثارة البلبلة والتذمر ، ويزعم أن عثمان اغتصب الخلافة ، وأن علياً أحق بها منه " وبثّ دعاته ، وكاتبَ من استفسد في الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وصاروا يكتبون إلى الأمصار

(١) ديوانه صنعة ثعلب ، ص : (٢٠) الهيئة العامة للكتاب ١٣٨٤ مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
(٢) انظر : الزركلي : الأعلام ٤/ ٢٢٠ طبعة خاصة .

بكتب يضعونها في عيب ولاتهم ، ويكتب أهل كل مصر إلى المصر الآخر " [1] حتى اندلعت الثورة على عثمان ، وقتل شهيداً ، فوقعت ثلمة في التاريخ الإسلامي لا تلتئم إلى يوم الدين .

وقد وجد أحمد الصالح في شخصية " عبد الله بن سبأ " المحرِّضة على الفتن ، المثيرة للشبهات .. مادة تمتزج بدور اليهود التخريبي في عصرنا [2] :

أيَعودُ .. ابنُ سَبأ .. ؟ ؟
كَما تأتِي الخَطيئة
يبخسُ الحبُّ القلوبَ
يمرُّ فِي الأشياءِ إثماً
يستكِنُّ .. كَما الوَبا
أيَعودُ ثانيةً .. ؟ !
ويزرعُ فِي عيونِ الأبرياءِ مرارةَ الحِرمان
ينتزعُ القميصَ ملوَّناً بدماءِ مَنْ أحببتُها
عزَّت عليكَ " حبيبتِي "
ما أنت فارسَها
وسيفُكَ قد نبا

إثم ابن السوداء يمتد إلى عصرنا ، ويعود ثانية بقيام إسرائيل ، ممثلاً في ما ارتكبت من الموبقات والمذابح ، وترويع الآمنين ، وتشريد أصحاب الأرض ، وإذا تمكن ابن سبأ من قميص عثمان ، فبلله الثوار بدمه ، فإن الفدائي سيلوِّن

(١) الأعلام كالسابق وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣/٧٧- ٨٨ دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ .
(٢) المجموعة الأولى ، ص (٦٤) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٦٧) .

قميصه بالدم دفاعاً عن حبيبته التي توحّد معها ، ولن يسلمها إليهم أبداً ، ولن يهنأ ابن سبأ وشيعته بها ، ولن تدوم له ، فهي لا تمنح حبها إلا لأهلها وذويها .

ويسقط الشاعر نجاح ابن سبأ في إثارة الفتنة على عثمان ، وتفتيت وحدة المسلمين ، وشق عصا الجماعة ، واختلاف المواقف بين الصحابة ، وانقسامهم إلى أحزاب ، وسل السيوف من أغمادها ، وارتوائها من دمائهم .. .. على الشتات العربي المعاصر ، وتصدع الكلمة ، وتعدد الآراء ، وتباين المذاهب ، والهجمات الإعلامية ، والاحتراب على التوافه ، وحشد القوات على الحدود ، والانشغال عن أهداف الأمة وقيمها الأساسية [1] :

أعترفُ الآنَ .. ؟ !
بأنّا أشهرنا كلَّ سيوفِ عشيرتِنا
في فتنةِ " عثمان " ..وتناوَشنا
ونَهَشنا الشيخَ الصالحَ فِي المِحراب
ضحِكنا في مأتمِه خلفَ " ابنِ سبأ "
مسَّحنا بدماهُ شواربَنا
مشَّطنا الأذقان
وتَعاقرنا ليلاً .. وقيانَ " أمية "
في بيتِ " يزيد "
وتمِلنا حتَّى أعيانا الإدمان

نلحظ التوحّد بين الماضي والحاضر في نظر الشاعر ، فهو يلغي الزمن تماماً ويدمج بين الأحداث ، ويجعل التاريخ معادلاً موضوعياً للوضع الراهن ، فنعود

(١) ديوان : عيناك يتجلى فيهما الوطن ، ص : (٨٠) دار العلوم ، الرياض ١٤١٨.

إلى عصر عثمان ، لنشترك في الفتنة ، ونسير خلف ابن سبأ ، ونسهم في قتل عثمان ونرتوي من دمه ، ولا نبالي بما نفعل .. وتمتد هذه الأعمال أو(أحداث عثمان) ، وتأتي إلينا ، لتلقي ظلها أو تتوحد مع حالة الاختلاف والتمزق ، والسير خلف كل ناعق للفتنة ، حتى نفسد الصالح ، وندمر القائم ، ونقطّع أرحام القربى بيننا ، غير مدركين ما نقدم عليه ، فقد سيطر الهوى الذي تعمى معه البصيرة إلى حد الإدمان .. وغير خاف أن الغرض من هذا الدمج هو تضخيم وتهويل الوضع الراهن ، وإعطاؤه مجالاً للحركة والسعة والتأويل ، فهو الهدف من عملية التوظيف أو المستفيد من مفردات الاستدعاء . وكل من اشترك في فتنة عثمان القديمة أو الحديثة بالقول أو العمل سيحمل وزر ما يصنع [1] :

وعثمانُ .. ؟ ؟

في دَمِهِ كلُّ سيفٍ دَعِيّ

وقالــةُ سَوْءٍ وَلَغْــنَ

الأزمنة والأمكنة :

لا بد للحوادث والوقائع من ظرف زمني تقع فيه ، ومن وسط مكاني تقع عليه فالزمان والمكان قرينان للفعل الإنساني ، لا يغيبان ولا يتخلفان ، إلا أنهما قد يذكران أو يذكر أحدهما أو يهملان ، وليس معنى عدم ذكرهما أنهما غير موجودين ، والزمن عَرَض دائم معنوي متحرك ، والمكان جوهر متنقل حسي ثابت ، ولهذا يرتبط كل منهما بالأحداث ، ويكتسب منها صفات الفرح أو الشؤم، ومعاني السعادة أو الشقاء ، والإحساس بالنصر أو الهزيمة .. فإذا مر عليه التاريخ عتّقه كما يعتّق الآثار ، وضمّخه برائحة القدم ، ولهذا يصبح استدعاؤه ذا

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٥٤) وديوان ، عندما يسقط العراف ، ص : (٥٧) .

أثر على النص الأدبي ، يحركه بين الأزمان ، ويعطره بأنفاس الأمكنة ، وبينما كان الزمان أو المكان في الشعر القديم يأتي غالباً مجرداً إلا من دلالته الوضعية (التاريخية أو الجغرافية) صار في الشعر الحديث يأتي مرتبطاً بعلاقات التفاعل بين الأشياء ، مقترناً بظلالها النفسية ، وقد يبلغ في التوظيف حد الامتزاج بالواقع ، وتوليد الصور والمفاهيم .

احتلت إسرائيل أراضي شاسعة في حرب (٦٧) من مصر وسوريا والأردن وأكملت ما تبقى من حدود فلسطين ، وطال عهد الترقب والانتظار ، ولكن الشاعر أحمد الصالح ظل على بوابة الأمل يطرد اليأس ويتعلق بعودة القوة ، وتحقيق النصر فمعين الأمة لا ينضب يقول[1] :

يا زمنَ الغفلةِ .. ! !
لن تعجبَ .. بعدَ الآن
يأتِي " خالدٌ" .. يُنهِي الرِّدة
يُنهِي .. تأليهَ الأوثان
يأتِي " عمرٌو " يُنهِي - باسمِ الله -
حصارَ الرومِ " لبابليون "
يأتِي " عمرٌو" يصلِّي الناس صلاةَ الفتح
ويتلُو التَّوبة .. ويتلُو الفتح
يقيمُ صلاةَ الحاضر
للشُّهداءِ " بسيناءَ " " وديرِ ياسين "

فنجد في هذا النص عناصر مكانية ، وأخرى زمانية ، استرفدها الشاعر من

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٢٢٦- ٢٢٧) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٥٥) .

موقعها القديم ، لتشير إلى أحداث ووقائع جديدة معاصرة ، فضلاً عما في النص من الأعلام والشخصيات ، فـ " حصن بابليون " الذي جاء في النص ، وتضمنه عنوان القصيدة أيضاً .. أقامه الرومان في العصور الوسطى جنوبي موقع القاهرة الحالي ، فحاصره عمرو بن العاص ، وأدى سقوطه إلى فتح مصر ، في التاسع من إبريل سنة ٦٤١م [١].. ما هو إلا الوطن المحتل ، والروم هم العدو الغاصب ، وسيناء كلمة مشبعة بالمشاهد والحوادث ، منها عبر موسى إلى مدين ، ومنها عاد ، وفيها رأى النار ، وفيها نودي وأرسل وأخذ الألواح ، وفيها كان التيه .. وقد نقلت وكالات الأنباء أن الجندي اليهودي عند اجتياح سيناء كان ينزل من دبابته ليقبل أرضها ، ودير ياسين قرية عجنت بدم الأبرياء .

والزمان يعبر عنه بألفاظ صريحة ، أو بأفعال وتعبيرات ذات أبعاد زمانية تحيل إليه ، ونجد هذه الدلالة في كلمات - الردة : التي ترادف في النص زمن الغفلة ، الذي تألهت فيه الأوثان .. الصلاة : كلمة مغرقة في التوقيت ، يصلي الناس ، صلاة الفتح ، صلاة الحاضر ، صلاة الحاضر في مقابل صلاة الغائب ، إشعار بالنصر واسترداد الأرض .. التلاوة : يتلو التوبة ، يتلو الفتح مشعر بالتقضّي في الزمن .

وفي قصيدة " قراءة في يوم الغفران " التي صور فيها الشاعر انتصار الجيش المصري ، حين اقتحم قناة السويس في حرب (٧٣) ، في يوم الغفران أحد الأعياد الدينية عند اليهود ، وحطم خط بارليف الذي وضعته إسرائيل على الضفة الشرقية للقناة ، لمنع المصريين من التقدم إلى سيناء .. نجد الشاعر يوزع عناصر

(١) الموسوعة العربية الميسرة (بابليون) .

المكان والزمان في قصيدته ، مثيراً أجواء من الموازنة بين القديم والجديد ، وبين الهزيمة والنصر يقول [1] :

سقطَ الغفرانُ .. مقتولاً
غبشت أحداقُ جيشِ الوَهم
يومَ " الزِّينةِ الكبرَى"
سقطَ الغفرانُ فِي التِّيهِ ..
وفِي أعينِهم قهرٌ وذلّة
وانهدَّ حمَى بارليف ..
واندكّت حصونُ البغي حولَه
من ليالي الخيمةِ السوداءِ
شبَّ الثأرُ عن طَوقِ الهَزيمَة
نبتَ النَّصرُ علَى جُرحِ شهيد
وحزيرانُ .. خبَت فِي قلبِه الذِّكرَى
كبُرُ الشَّوقُ إلَى سيناء .. والجُولان
فالرَّحمةُ تَهمِي شهداءً
ويمينٌ تزرعُ الأرضَ منايا

تحتشد العناصر المكانية متعددة الاتجاهات لتسهم في بناء النص وحركته الفنية المعبرة عن تحول الهزيمة إلى نصر .. أحداق جيش الوهم – جيش العدو - الذي تحول انتصاره إلى هزيمة ، وأعين المنهزمين التي تحمل القهر والمذلة ، وخط بارليف الذي أقيم ليمنع التقدم المصري ، فانهار أمام قوة الإرادة ، وحصون البغي التي

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٤٨- ٥٠) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٤٩- ٥١) .

دمرت معه ، وجرح الشهيد الذي نبت منه النصر ، وسيناء التي ينبعث من ترابها التاريخ . . إلى جانب العناصر الزمانية : ليالي الكآبة التي انجلت عن بياض البهجة ، وحزيران الشهر الذي ودّع الألم بسبب الهزيمة ليفرح بالنصر ، والذكرى التي اقترنت بالهزيمة فأصبحت مدعاة للسرور ، " وكبر الشوق إلى سيناء " فيه الدلالة على تضخم الشوق إلى مكان مفعم بالذكريات ، ويدل في الوقت نفسه على أن هذا التضخم إنما أحدثه الانتظار وطول زمن .

وقد كرر الشاعر " سقوط الغفران " ثلاث مرات على مدى القصيدة ، لأن الغفران لم يعد يوماً من أيام الأعياد ، بل أصبح ديناً ودولة ، وموجة من موجات الطغيان ، تحول من يوم فرح إلى يوم حزن ، ولهذا جعله مقتولاً مرة ، وفي التيه مرة ، والتيه إشارة إلى السنوات التي تاه فيها بنو إسرائيل في سيناء ، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة ٢٦] ، ويوم الزينة يتحول إلى مأتم ، ويحمل ظلال التحدي بين موسى وفرعون ، قال فرعون : ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ [طه ٥٨- ٥٩].. فيسجل الغلبة لموسى المؤيد بالحق لأن ما فعله كان حقيقة وما فعله فرعون وشيعته كان أكاذيب وخيالات ، وكانوا واثقين بالغلبة فطاش تقديرهم وفال سهمهم .

وهكذا أسطر الشاعر مجموعة من عناصر المكان والزمان القديمة والحديثة وأحدث بينها علاقات[1] ، قامت بدور التشابك والتلاقح ، لتنقل فكرة التحول

(١) أسطر : فعل حديث اشتقه النقاد من كلمة أسطورة ليفيد إضفاء الروح الأسطورية على بعض الشخوص والأحداث بغرض التوظيف الفني ، والأسطورة كلمة عربية وردت بصيغة الجمع في القرآن الكريم تسع مرات ومادتها سطر وقد جاءت في الذكر الحكيم فعلاً مضارعاً واسم مفعول أربع مرات .

من الهزيمة إلى النصر ، ومن اليأس إلى الأمل ، ومن غلبة إسرائيل إلى انتصار العرب[1] .

وقد عاود الشاعر الحديث عن يوم الزينة في الحديث على الشيخ أحمد ياسين في صراعه مع الطغاة المحتلين .. فيقرنه بموقف موسى في صدقه وغلبته ، ويقرن الصهاينة بموقف فرعون والسحرة في هزيمتهم واعتمادهم على الخداع والتمويه والكذب .. ولكنه أفاد من عناصر أخرى في النص القرآني .. عصا موسى - احتشاد السحرة - خداعهم أعين الناس - انتصار العصا - التهامها حبال الساحرين ، والآية الكريمة ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء ٤٥] ، ويضيف إلى ذلك التذكير بخداع بني قريظة ، والمتآمرين معهم من أشياعهم [2] :

الآنَ .. يومُ الزِّينة ! !
احتشدَ الحواةُ .. تسربلوا بالإفك
الشيخُ .. هزَّ عصاه .. وامتشقَ الحِجارة
غِيضتِ المأساةُ
وانتفضت - ببأسِ الله - آلافُ الأسنَّة
الشيخُ .. مدَّ عصاهُ – باسم الله – ينهضُ يَجتبيك
عصاهُ تلقفُ .. ما تُجِنُّ بنو قريظة ..
ما " هِرَقْلٌ " قَدْ أجنَّه

---

(١) اليوم أذيع لأول مرة وبعد (٣٥) سنة من هذه الحرب معلومات مأخوذة من الإرشيف الإسرائيلي يمتدح فيها القادة الإسرائيليون مهارة وشجاعة الجنود العرب في هذه الحرب .

(٢) قصيدة " لا .. الياسين في يوم الزينة" انظر : صورة الحجر ص : (١٢٠ ، ٣١٦) وهي في الأصل قصيدة مخطوطة بعث بها الشاعر إلى الباحث .

ما يفعله الأعداء إفك وتلفيق ، يخدعون به أعين الناس ، وهاهو الشيخ أحمد ياسين / موسى / المؤيد .. قد ألقى عصاه ، المدافعة عن الحق .. فانتفضت بقدرة الله آلاف الرماح ، وملايين السواعد ، لتبطل هرطقة[1] المشعوذين ، وأباطيل السحرة المكذبين ، وتلقف ما يأفكون .

وعلى هذا النحو يتحدث عن فندق " سافوى " على شاطئ البحر المتوسط ، على الأرض التي شرد الغاصب أهلها ، وأحل محلهم شعباً دخيلاً ، فاقتحم فدائي دفعه عشق الوطن - الفندق ، ففجّره ذات صباح ، يقول الشاعر على لسانه[2] :

صباحُ " سافوي " أفاق
علَى نداءِ الكبرياء
باركتُ طيبَ حَبيبتي .. وضممتُها
صدري وصدرُ حُبيبتي
ملا الفراقَ .. تمرُّدا
إني سكنتُ حَبيبتي
- مهما رُقِيت -
أنا مقيمٌ فِي العِظامِ وفِي الدِّما

فتتناوب الحركة الزمنية في النص مع الاستقرار المكاني في طابع أسطوري يخرج

---

(١) الهرطقة : كلمة يونانية تعني عند النصارى البدعة في الدين والكذب ، وهي مطابقة لما يصنعه اليهود من الأباطيل ، وقد اشتقوا منها فعلاً فقالوا : هرطقه فهرطق وتهرطق والنسبة هرطوقي ، انظر المادة في المنجد .

(٢) المجموعة الأولى ، ص (٦٤) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٦٧) .

من الواقع إلى الإسقاط الفني .. فهذا سافوي /الفندق ، مكان الحادثة ، يستيقظ على الانفجار ، ويتوقف الزمن عند الصباح ، ليشهد ما حدث ، ويسمع نداء الثأر .. وهذه حبيبة الفدائي / الوطن ، يعود إليها ، ويضمها ، وكلٌّ منهما فيه شوق إلى الآخر فقد طال الفراق (زمن) ، فتمردا على الواقع .. وقد فشلت كل الرقى لسريان مفعول النسيان بين الحبيبين [1] :

نفضتُ عذابَ السِّنينَ الكَسالى ... وَفجَّرتُ صُبحاً أدالَ الفُجورا

شربتُ بِعَينيكِ أحلَى الهَوَى ... وَأيقظتُ في شفتيكِ الغرورا

وَجِئتُ أفتِّشُ عَن ذِكرياتي ... فسافوي يعرفُ عنِّي الكَثيرا

ويستوقف الباحث هنا فرط عناية الشاعر بذكر القدس ، فما يكاد يلوح اسمها، أو يتراءى ذكرها ، حتى تستجيش عاطفة الشاعر ، ويقطر شعره أسى وتعبيرات نابضة ، وصوراً فنية ، ويستدعي الكثير من الأسماء والمصطلحات والمعاني وحوادث التاريخ ، لأن القدس محور الصراع في المنطقة ، فهي رمز تاريخي وديني عند كل طرف ، لها بعدها وخصوصيتها ودلالتها عند كل فريق .. يراها الشاعر في يد المحتل سبية يمارس معها المنكر على مرأى من أهلها ، وهي تستصرخ وتستنجد وتتمنى أن ينقذها المجاهدون ، منذ عشقت وأحبّت صلاح الدين بحكم غيرته عليها ، واستخلاصه لها في عصر سابق [2] :

يا أيُّها العرَّاف .. ! !

حبيبتي – الحسناءُ – تُدعَى : أورشَليم

تَنامُ .. كالسبيّ .. فِي عيونِ المُذنبين

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٦٥) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٦٨) .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (١٣٣) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (١٤٣- ١٤٤) .

وتشتهي قِراءةَ الهوَى
فِي أعيُنِ المُجاهِدين .. فِي دُموعِ التَّائبين
متاعُها الصبَّار .. واليقطين
حبيبتي .. ؟ !
وديعةٌ طيِّبة .. تحبُّ كلَّ الطيِّبين
ما عشِقَتْ أو مارَسَتْ
إلا هوَى .. " صلاح الدين "

العراف : الكاهن الذي يدّعي علم الغيب ، يسأله لعل عنده خبراً عن مستقبل القدس ، التي وقعت في أيدي الأعداء ، ويسميها له باسمها عندهم " أورشليم " لعل ذلك يعينه على سهولة التعرف عليها ، ويصف حالها عند الأعداء بأنها كالسبي ، فيستحضر " سبي بابل " أو حكم سعد بن معاذ في نساء بني قريظة وذراريهم ، والقدس في انتظار المجاهدين تعيش على الصبار – الصبر المؤلم – وعلى اليقطين وهي الشجرة التي نبتت على " يونس بن متى "[1] ، بعد أن قذفه الحوت في العراء، لعلها تخرج من بطن الاحتلال كما خرج ، وترى النور كما رأى ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ [الصافات١٤٢- ١٤٦] وكلمة " المجاهدين " في نص مسافر تستظل بلفظ " المسبِّحين " في الآية .. فلولا أن يونس كان من المسبحين للبث في بطن الحوت

(١) أرسل إلى أهل نينوى قرب الموصل ، وليس ثمة بحر، والظاهر أنه من بني إسرائيل ، ويتصل بأهل نينوى بسبب ، ولهذا أرسل إليهم ، وهذا ما يفهم من بعض الروايات في كتب التفسير.

إلى يوم الدين ، والقدس إن لم يتداركها المجاهدون ستظل تحت الاحتلال إلى أبد الأبيد (وما أجمل أن يأتي بجمع الكثرة مع المذنبين "عيون " وجمع القلة مع المجاهدين " أعين")

وإذا كانت القدس تعشق صلاح الدين ، للعلاقة الغرامية القديمة بينهما ، وتبحث عن المجاهدين ، الذين يجددون لغة الحب والغزل ، فإن " حطين " تستنهض عزائم المجاهدين أيضاً ، فقد ضجّت عظام الشهداء الذين ضحّوا من أجل القدس ، ويتمنون أن يوجد في الأمة رجال أشداء ، يوفون بالعهد ، ويذودون عن الديار ، كما فعل صلاح الدين وجنوده [1] :

يا سيِّدي .. صلاحَ الدين
حطينُ .. ؟ ! تبكي ملءَ أعيُنِ الجهاد
هل بكيتْ ..
أبطالُها .. اهتزَّت بهم غيظاً
شواهدُ القبور . .
يبحثونَ بينَنا .. عن فارسٍ ما سوَّفَتْ يمناه
يأبَى أنْ تُذَلَّ القدسُ .. كما أبيَت

لقد كانت القدس " قميص عثمان " الذي تتاجر به الأحزاب والقيادات والثورات العربية ، زيّفوا بها البيانات والقرارات ، ووضعوا لها جداول الاجتماعات واللقاءات ، وملأوا بها الصحف والإذاعات ونشرات الأخبار ، ويضيع منها جزء في كل لقاء مع العدو ، و" السعيديون " [2] ينبحون في كل إذاعة :

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٦٠) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٧٣- ٦٤) .
(٢) نسبة إلى الإذاعي المعروف " أحمد سعيد " الذي اشتهر بتأجيج مشاعر الجماهير.

سندمر إسرائيل ، سنلقي بها في البحر ، ويرشّون على المشاعر العربية وقدات الحماس " كلٌّ يدّعي وصلاً لليلى " يقول الصالح [1] :

" القدسُ " .. أتعبنا المَسامعَ نخوةً عنها
وغرَّتنا بها فِتَنٌ تَمورُ بنا
وَما زِلنا بِها شِيعاً نقاتلُ بعضَنا
صِرنا حديثَ الشَّامِتين
مُسلسلَ الفِتَنِ الطَّوِيلَة

وهاهي القدس تبحث في الوجوه ، تتمعن في الملامح ، تتوسم القسمات ، تسأل عن عشاقها من أمثال خالد بن الوليد وصلاح الدين وعمرو بن العاص ، الذين صنعوا الأمجاد القديمة ، لعل الزمن الآتي يجود بهم [2] :

" القدسُ .. ؟ ؟
تسألُ .. عن زمانٍ قَد يَجِيء
عن سيفِ خالد .. عن صلاحِ الدين
في الزمنِ المُضِيء
ليلَى .. ؟ ؟ تقيمُ علَى انتظارِ حبيبها
وحبيبُها لَمَّا يَجِيء

فلما طال الانتظار ، وتأخر الحبيب ، وارتكب العدو في القدس الفضائح وانتهك الأعراض ، وتخلّى الأقارب ، وأظهروا العجز ، وركبهم الندم .. هبت رياح التحرير من الداخل ، من كل فئات المغلوبين ، استيقظت هممهم ،

(١) ديوان : عيناك يتجلى فيهما الوطن ، ص : (٢٩) .
(٢) المجموعة الأولى ، ص : (١٩٩- ٢٠٠) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (١٦) .

واتصلت حبالهم بالله ، واستضاءوا بنوره ، وحرموا المعتدي لذة الأمن والاستقرار[1] :

القدسُ .. في ثوبِ الفَضيحة ..
والقبيلةُ .. فِي سريرتِها النَّدم
الرِّيحُ .. ؟ !
فِي كلِّ الجهاتِ .. تؤجُّ .. والمسرَى.
عيونٌ لم تَنَمْ
في جانبِ الطُّورِ المُبارك .. ؟ !
لَمْ تَعُدْ تَتَنَزَّلْ السَّلوَى

والطور جبل بيت المقدس ، ممتد ما بين مصر وأيلة ، روي عن ابن عباس ومجاهد أن معناه : جبل مبارك [2] ، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، وأنزل عليه فيه التوراة ، وأعطاه الألواح [3] والعيون التي لم تنم مسها ما مس موسى عليه السلام : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم٥٢- ٥٣] فأقلقت العدو ومنعته أن يتمتع بالرخاء والدعة مشيراً إلى الآية الكريمة : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة ٥٧] .

ويزعم اليهود أن القدس بناها الملك داود في بداية الألف الأولى قبل الميلاد ، في أثناء حكمه.. ويحدثنا التاريخ أن العرب اليبوسيين بنوا المدينة قبل داود بألفي

(١) المجموعة الأولى ، ص : (١٩٩) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (١٥) .
(٢) البكري : معجم ما استعجم ٨٩٧/٣ تح / مصطفى السقا ، عالم الكتب بيروت ١٤٠٣/٣ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤٣٦/١ وغيرها .

عام ، وأن " عروبة القدس تترك بصماتها على الأرض والمكان والإنسان ، وعلى آثار التاريخ والحضارة ، على مر الأجيال .. أكّد هذا المؤرخون والرحالة العرب والأجانب ، وسجلوا هذا في مخطوطاتهم ، ابتداءً من أسماء المدينة العربية الأصل ، إلى أغلبية السكان العرب على مر الزمن حتى الآن "[1]

العقائد والشعائر:

ذكر أحمد الصالح بعض الشعائر الدينية عند اليهود ، ليس بوصفها معتقدات دينية ، بل اتخذ منها مادة أدبية يدافع بها عن عروبة القدس وإسلاميتها ، ويوضح منها ظلم اليهود وتعديهم ، واغتصابهم أرض الآخرين ..

التلمود : كتاب التعاليم الدينية عند اليهود ، وتلخيص ما جاء في العهد القديم ، ويشتمل على مجموعة من الشرائع اليهودية التي نقلت شفهياً مقرونة بتفاسير رجال الدين اليهودي ، وفيه أسوأ ما يعتقد به اليهود حيال الكون والمعتقدات والآخرين ، كُتِبَ في القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد ، والنسخة المعتمدة لديهم هي التي كتبت في بابل [2].

قصيدة أحمد الصالح " في ضيافة أبي الطيب " تغصّ بأنواع الإشارات والرموز والتضمينات الفنية الرائعة ، ويذكر التلمود في معرض تحذيره " حذامِ " من مفاجآت ما يحدث[3] :

يا حـذامِ .. ! !

ضاجعوا " قطرَ النَّدَى "

---

(١) د. أحمد يوسف القرعي ، عروبة القدس في عيون الرحالة العرب والأجانب ص : (٥) كتاب في جريدة صحيفة الرياض ، عدد : (٨٥) الأربعاء ٢٠٠٥/٩/٧ .

(٢) انظر : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، كالسابق ، والموسوعة العربية (تلمود) ومقارنة الأديان ، اليهودية ص : (٢٧٣- ٢٧٩) .

(٣) المجموعة الأولى ، ص : (٢١٩- ٢٢٠) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٤٧) .

في القدس
وافتضّوا الخيولَ العربية
قرءوا " التلمود "
في الجامع جهراً
رَقَصوا في قبَّةِ الصخرةِ عرياً
مارسوا الشهوةَ فيها

في هذا المقطع القصير تزدحم رموز ومعالم لها أبعاد تاريخية وفنية ، فنجد القدس والجامع وقبة الصخرة بظلالها المقدسة ، كما نجد حذام المشهورة بالقول الصادق في الأمثال والشعر [١] ، وقطر الندى بنت خمارويه زوج الخليفة المعتضد بالله التي اشتهرت بالعقل والجمال والأدب [٢] ، والخيول العربية صاحبة الانتصارات والأمجاد ، والتلمود.

وقراءة التلمود الملفق الذي يفيض حقداً على البشرية – الأمميين[٣] / غير اليهود .. في الجوامع ، التي اعتادت جدرانها أن تستمع للذكر الحكيم .. انتهاك لحرمة الجوامع ، وإشعار بتحويلها معابد يهودية ، وكون ذلك علانية وجهراً ، فيه تصوير لمدى الضعف والانهزام العربي ، والتخاذل وعدم الغيرة .

---

(١) من أمثالهم : " القول ما قالت حذام " انظر مجمع الأمثال ١٠٦/٢ وفيه بيت الشعر المشهور ، وقائله لجيم زوج حذام.

(٢) انظر : الأعلام للزركلي ٢٩٩/١ (أسماء بنت خمارويه) والموسوعة العربية (قطر الندى) .

(٣) ترجمة للكلمة العبرية " الجوييم " جمع "جوي " وتعني غير اليهودي ، فإذا قال اليهودي عن شخص أو شيء : إنه جوي ، فهو يعني بذلك أنه همجيّ بربريّ يجمع القذارة والنجاسة والحقارة ، ولا ضير من قتله ، انظر : الكنز المرصود ص (٩٧) والعلاقة الأدبية بين العرب واليهود ص (٤٥) وانظر على سبيل المثال البروتوكولين الرابع والخامس من كتاب الخطر اليهودي ص (١٧٣/ ١٧٤) .

وقد قص علينا القرآن الكريم خبر " المائدة " التي طلب الحواريون الذين كانوا مع عيسى عليه السلام ، وهم من بني إسرائيل .. أن تنزل عليهم من السماء ، فقال الله تعالى ﴿ مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة ١١٥] فكفروا وجحدوا بعد نزولها ، وكانوا خيرة بني إسرائيل وصفوتهم ، الذين قالوا ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران ٥٢ ، والصف ١٤] ، فما بالك بمن وراءهم من سائر بني إسرائيل ؟

و" حيتان السبت " مظهر آخر من مظاهر عصيان بني إسرائيل لأوامر ربهم حيث نهوا عن صيد الحيتان يوم السبت ، فكانوا يحتالون لذلك بنصب شباكهم وأنشوطاتهم ، ويتركونها إلى يوم الأحد فيأخذونها [1] يقول أحمد الصالح في قصيدة " الخطبة الأخيرة على أسوار بابليون " مشيراً إلى المائدة وإلى الحيتان[2] :

انتظروا .. ؟ ! مَنْ يدرِي كَم تَنظرون
تأتيكُمْ .. ؟ !
مائدةٌ – في شِسعِ حذاءٍ ملعون –
تأتيكُمْ .. ؟ !
" حيتانُ السَّبت "

والخطاب هنا موجه إلى العرب الذين يهادنون اليهود ، ويحسنون الظن بهم ويعقدون الصلح معهم ، إنهم يطلبون المعجزات .. كما طلب الحواريون المائدة ، ولكن مائدة العرب التي سيتفضل اليهود بتقديمها ، ستكون مائدة حقيرة مذلة ، تأتي في شسع/ قبال نعل يهودي .. وسيحتال عليهم بنو إسرائيل ، كما

(١) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٤٣٩/١ ، ٣٠٤/٧ .
(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٢٢٣) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٥١) .

احتالوا على ربهم في صيد الحيتان ، فلحقتهم اللعنة ومسخهم قردة ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة ٦٥] وقال : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف ١٦٦].

ومن الطريف أن يجمع الشاعر بين المائدة وحيتان السبت في النص ، لأن بينهما سبباً وصلة ، وقد ذكرت كتب التفسير أن مما ضمَّت المائدة التي نزلت على بني إسرائيل سبعة أرغفة وسبعة أحوات .. وقيل سمكة كبيرة مشوية ليس فيها شوك تسيل سيلان الدسم ، وقد نضد حولها أنواع الخبز والخضر والبقول والفواكه [(١)].

آيات العذاب : يذكر بعض المفسرين أن الله أنزل سبع آيات على بني إسرائيل عذّبهم بها ، لشدة كفرهم وعنادهم ، هي : الأخذ بالسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف ١٣٠] وقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف ١٣٣] فلما تحدث الشاعر عن الفدائي الذي اقتحم الفندق في الأرض المحتلة في قصيدته " عاشق يرقص في سافوي " قال على لسانه [(٢)] :

أنا ثامنُ السبع .. فاستَعجلوا

يقول إذا كان الله تعالى قد عذب بني إسرائيل بآيات العذاب السبع أيام موسى

---

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ٦/ ٣٦٩- ٣٧٠ .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٦٣) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٦٧) .

فإن هذا العمل الفدائي لاحق بهم من المستوى نفسه ، وهو الآية الثامنة التي تلحقهم من هذا النوع .. وما صنعه طفل الانتفاضة في العدو الإسرائيلي من قبيل الأخذ بالسنين زمن آيات الحجر المقترن بتاريخهم ، يقول في قصيدة " المجد أنت .. والحجارة صولجانك " مخاطباً هذا الطفل الصغير[1] :

يا سيِّدي .. ! !
عُقِدَتْ لكَ الرَّايات
خُذهُم بالسِّنين
وخُذ جَحافلَهُم
بآياتِ الحَجَر

إشارة إلى الآية السابقة ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ وإلى قوله : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ [البقرة ٦٠] ، ويظهر الحجر والعصا في الحديث عن طفل الانتفاضة مرة أخرى ، ولكن العصا تأتي بلفظ " المنسأة " لتذكرنا بموت سليمان ملك ونبي بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ ١٤] يقول الشاعر[2] :

كــفٌّ علَــى حَجَــرٍ وَمِنْــسَأةٍ هَــشُّوا بِهــا الأنــذالَ فــانقلبُوا

وإنما أثبتّ الآية بطولها لعلاقتها بسياق البيت ، فلعل هذه المنسأة تقود إلى موت هذا العدو ، ونكتشف منها أن كيانه كان هشاً ، وأن الجرأة والشجاعة كفيلة

(١) ديوان : عيناك يتجلى فيهما الوطن ، ص : (٨٨) .
(٢) ديوان : عيناك يتجلى فيهما الوطن ، ص : (٨٥) .

ألا تبقي الأمة في العذاب المهين .

وكلمة اليهود كلمة مثقلة بالظلال ، مشبعة بالدلائل ، تنوء بثقل التاريخ ، وتعج بكثرة الأحداث قديماً وحديثاً ، في الفكر الإسلامي والفكرالغربي الأوروبي ، بوصفها عقيدة وديانة ، وبوصفها مجتمعاً وشعباً ، ولا يستطيع مؤرخ أن يغضي عن دورهم في التقلبات السياسية والفكرية في العالم ، وقد شكلوا في المحيط العربي في العصر الحديث خلية سرطانية ، أزعجت كيان الأمة ، وكانت بؤرة توتر ، ومصدر شكوى ومبعث ألم كما يقول أحمد الصالح [1] :

يا أيُّها المغلولُ بالذُّنوب

مُوجعاً بنفسِك

وبالأغرابِ واليَهود

وهو بهذا يجسم مشكلة الأمة ، التي تكالبت عليها الأمراض ، وأشد ما أصيبت به قصورها الذاتي ، وتسلط الدخلاء عليها ، وهذا العدو المستشري ، الذي يناصبها العداء قديماً وحديثاً ، فاستهلك طاقتها ، وشلَّ قدرتها .. وفي الحديث عن موجات الغزو التي تعرضت له المنطقة ، يقرن بين الحروب الصليبية واحتلال اليهود لفلسطين في العصر الحديث .. اختلفت الأسماء والحقيقة واحدة .. واختلف الممثلون والمسرحية لم تتغير ، وعلى الأمة أن تعالج حاضرها بالطريقة التي عالجت بها ماضيها ، ولهذا يوجه الخطاب إلى صلاح الدين ، الذي حرّرها أول مرة ، ويأمل أن يأتي صلاح جديد يفعل فعله يقول [2] :

صلاحَ .. الفتوحِ .. ! !

---

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٢٦٦) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (١٠٦) .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٢٣٣) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٦٢) .

الزَّمانُ اكفهـرَّا

وجاءَ " الفِرِنْجَةُ " في ثوب " عزرا "

والفرنجة : الاسم الذي أطلقه العرب على الصليبيين الذين احتلوا بيت المقدس في العصور الوسطى .. وعزرا رمز لليهود الذين احتلوه في العصر الحديث ، وفي التوراة سفر يسمَّى " سفر عزرا" وضعه " عزرا " الكاهن ، ويبدو أنه " عزير " الذي ورد ذكره في القرآن الكريم — وسيأتي في نص آخر - وكان عزرا قد عاد من بابل إلى أورشليم ، ومعه ألف وثمانمائة من قومه ، وأصبح نائباً للملك فيها ، ووضع السفر ليفرض على بني إسرائيل الطاعة العمياء له ، ويعد سفر عزرا وتحميا من أقدم الأسفار التي تتحدث عن اليهود بعد الأسر البابلي [1] ، وكل ذلك له صلة بوجود اليهود بفلسطين ، فعزرا يدعي صلته بالله ، ويزيف كتاباً مقدساً يريد منه أن يخضع الناس لطاعته ، ويخوفهم منه ، ويتزعم عصابة يأتي بها من بابل إلى القدس ، وهذا ما صنعته إسرائيل .

ولهذا يعد الشاعر الذين يهادنون اليهود ، ويتعاملون معهم ، ويخطبون ودهم ويسالمونهم .. كأنما صاروا منهم ، ولبسوا ثيابهم ، وعليهم أن يعودوا إلى الصف العربي ، وأن يخلعوا كل مظهر من مظاهر التبعية والانقياد ، يضع ذلك على لسان نخيل أسوان ، فيقول[2] :

يناديك وجه .. ! !

أفاض على النيل طيب السجايا

يناديك .. ! ! نخل بأسوان يبكي

---

(١) انظر : مقارنة الأديان ، اليهودية ، ص : (٢٦٤) بتصرف ، وانظر : رسالة من التوراة ص : (٩٥) .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٢٣٢) وديوان : انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٦١- ٦٢) .

فهلا خلعت " مسوح اليهود "

وجئت .. كما كنت .. ! !

فوق الدنايا

المسح : هو الكساء من شعر ، وما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد ، ويغلب على مسوح الرهبان[1] ، وذلك شارة على الانخلاع من ربقة العروبة والإسلام ، والالتحاق بزي الأعداء ، والانصياع لهم .. والنخيل يظهر في النص في مقابل هذه المسوح ، لأنه شعار العروبة الصميم ، الذي يقارع الانحراف ويدل على التمسك بأصالة العرب والمسلمين.

القصص القرآني :

الكلمة القرآنية كلمة مشعة مضيئة ، تدل على نفسها ، وتغمر بالنور ما حولها، وتحمل من الظلال ما يكسب النص وضاءة وجمالاً " إذا رآها الإنسان : في رسالة .. كانت عينها ، أو في خطبة .. كانت وجهها ، أو في قصيدة .. كانت غرة غرتها ، وبيت قصيدتها .. كالياقوتة التي تكون فريدة العقد ، وعين القلادة ، ودرة الشذر "[2] وقد أقبل الشعراء المعاصرون على استلهام قصص القرآن، واستيحاء نصوصه وآياته ، وأفادوا منها كثيراً في تقديم معان جديدة لموضوعات الشعر ، وقوة أفكاره وخياله ، وتجديد لغته وصوره .." فألهمتهم أفضية واسعة من الدلائل والإسقاطات الفنية والفكرية ، واستطاعوا بها أن يعالجوا كثيراً من الأبعاد الشخصية ، أو القضايا الاجتماعية والسياسية ، أو الواقع المعاصر ، بحيث لا تقتصر على حرفية الدلالة ، أو مجرد النقل والاستشهاد ، بل أصبحت عضواً في

---

(١) انظر : لويس معلوف ، المنجد في اللغة ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط (مسح) .

(٢) الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص : (٢٠٠) تح / السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ١٩٨١/٥ .

بنية النص ذات وظيفة إيجابية في مبناه ، مشعة بالمعاني ، مشبعة بالظلال ، تحمل عبق الماضي ، وتطبيق هذا الماضي على الحاضر[1] .

وقد عمد أحمد الصالح إلى بعض قصص القرآن الكريم فاستعان بها في شعره ، ويهمنا أن نعرض ما يتصل بحياة اليهود وفكرهم وتاريخهم من هذه القصص واستلهامها في الحديث عن القدس وفلسطين وقد ظهر ذلك في ثلاث قصص هي :

١- قصة يوسف عليه السلام :

هو يوسف بن يعقوب ، ويعقوب هو إسرائيل الذي ينسب اليهود دولتهم إليه ، رأى يوسف في الحلم الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً له ساجدين ، وكان أثيراً عند والده ، مما أثار حفيظة إخوانه فكادوا له ، وألقوه في الجبِّ ، وبيع في مصر ، وتعرض لفتنة امرأة مولاه ، فسّر رؤيا لفرعون ، ثم أصبح حاكماً لمصر. وردت قصته مرة واحدة مفصلة في القرآن الكريم في سورة مستقلة تحمل اسمه ، كما وردت في الكتاب المقدس .. أفاد الشاعر من هذه القصة وعرضها في صورة مشاهد في قصيدة " ثلاثة مواقف لامرأة العزيز "[2] :

أ- السبع العجاف :

جاء في قصة يوسف أن فرعون رأى في المنام سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وأخر يابسات ، فكان تفسير يوسف لذلك : ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ [يوسف ٤٧- ٤٨] هذه السنوات السبع الشداد هي السبع العجاف والسبع اليابسات في منام

(١) الباحث : بحث " استلهام القرآن في الأدب الحديث بين التحريف والتوظيف" ص : (٣٠) .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٤٤- ٤٧) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٤٥- ٤٨) .

فرعون ، وقد عبر عنها الحديث الشريف " بسني يوسف " حتى صارت مثلاً في القسوة الجدب والجفاف ، وقد استعملها أحمد الصالح بهذا المعنى للتعبير عن سنوات اليأس والهزيمة التي اعترت الأمة ، وهي السنوات التي أعقبت النكسة عام (٦٧) .. يوجه حديثه إلى الرجل المدبر الحكيم ، الذي عالج مشكلة السنوات العجاف في القديم لعل لديه حلاً في الحديث :

يا سيِّدي .. نبيَّ الله .. !
إن العجافَ السبعَ .. " عادَتْ "
في عيونِهِنَّ .. " عارضُ "
يُمطِرُ بالمأساة ..
يثجُّ في حلوقِنا الصَّديد
يثلعُ الجراحَ في الجِباه ..
يمتحُ ماءَ وجهِنا
يزرعُ في أفكارِنا الخُنوع ..
في رؤوسِنا الدُّوّار
ينسلُ من مَنابتِ الشَّعَر
يزُّ في المَسام .. يؤجُّ في الضُّلوع
ينخرُ العِظام .. يَنشرُنا .. يُسِفُّنا " المَلا "
يؤزُّنا .. ينضحُ ماءَ وجهِنا ذلاً (١)

(١) يثلع : يشقّ ويجرح ، يمتح الماء : كيمنع ينزعه ويخرجه ، يؤجّ من أج النار، وأججها : أضرمها ، والأجيج تلهب النار ، المل والملة : الرماد الحار والجمر، وأزّ القدر يؤزّ ويئزّ : اشتد غليانها.

لكن السنوات الجديدة - كما يصورها النص السابق - أشد عسفاً وضراوة وقسوة من سني يوسف ، لأن سنيه كانت تعاني أزمة اقتصادية ، أمكن تلافيها والاحتياط لها ، أما السنوات الجديدة فإنها أزمات نفسية وجسدية .. يعدد الشاعر صنوف الآلام التي اقترنت بها ، فإذا بها طامة شاملة ، تبرز في كل سطر من النص، ويستعين على تصويرها بتعبير القرآن الكريم " في عيونهن عارض .. يمطر بالمأساة " من قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف ٢٤] ، منذر بشدة العواقب .

وفي هذا التضمين إشارة أيضاً إلى مسؤولية الأمة وتقصيرها ، وأنها بذلك تنال عقابها ، وأن المحاولات التي بذلت للخروج من جور هذه السنوات العجاف والتخفف من أعبائها غير مجدية .. وما أجمل أن يجعل من مظاهر القسوة في هذه السنوات أن يمطر العارض بالمأساة ، وأن يسفّ المتخاذلين الملّ ، وهو الرماد الحار أخذاً من حديث الرجل الذي يصل أقاربه ويقطعونه ، فقال له ﷺ : " فكأنما تسفُّهم الملّ" [1] ، بمعنى أن العارض واصل ، والأمة لا تتعاطى معه ، أي لا تعمل على مقاومته ، ورد خطره ، وتأخذ بأسباب التقدم والنهوض .

وقد عاود الصالح الحديث عن السنوات السبع العجاف في المعنى نفسه في قصيدة " قراءة في يوم الغفران " حين اقتحم الجيش المصري قناة السويس ، ودك خط بارليف الذي أقامه اليهود فكان ذلك في نظر الشاعر إيذاناً بانتهاء مرحلة الجدب والجفاف التي أرضعت الهزيمة وأنمت اليأس[2] :

(١) صحيح مسلم الحديث (٤٦٣٠) ومسند أحمد ، الأحاديث (٧٦٥١، ٨٩٧٥، ٩٨٩٤) .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٤٩) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٥٠- ٥١) .

كبَّرَ المسجدُ .. والمسرَى
ومشَى التاريخُ ..
يستلهمُ .. ما تحفظُهُ القدسُ القديمة
مرَّتِ السَّبعُ العِجافُ ..
اللائي .. أرضعنَ .. انكفاءَ النصرِ
أحضانَ ليلٍ ..
أسودِ الآفاقِ ..
مُنْبَتٌّ السَّرايا

يبرز الشاعر من خلال هذا الاستدعاء صورتين متقابلتين مختلفتين : صورة قاتمة للسنوات السبع ، التي انكفأ فيها النصر ، فاختفى ، ونشر الليل جناحه الأسود على الآفاق ، وانقطع صوت السرايا المقاتلة ، فكأنها سنو يوسف .. وصورة مبتهجة بالنصر ، كبّر فيها الأقصى فرحاً ، وهلّل المسرى ابتهاجاً ، ومشى التاريخ مختالاً ، يستنشد القدس ما تحفظ من أهازيج النصر ، التي تعلمتها في حقب التاريخ الغابر، وهذه معادل البقرات السمان ، والسنبلات الخضر ، والغلبة لها في هذه المرة .. ولا ينسى الشاعر أن يقوي صورته - كعادته - باستلهام آخر من القرآن الكريم ، فقوله : " اللائي .. أرضعن .. انكفاء النصر " ناظر إلى قوله تعالى : ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ [النساء ٢٣] .

ب- امرأة العزيز :

هذه امرأة مترفة منعمة ، لديها قابلية للانحراف ، وجدت بالقرب منها ، وعلى خلوة فتى جميلاً ، ذا فتوة وفتنة ، فراودته عن نفسه ، وغلقت الأبواب ،

فأبى وانصرف ، حتى شقت قميصه من الخلف ، فألفيا سيّدها لدى الباب ، فاتّهمت البريء بالخيانة ، وقلبت الحقائق ..

يجعل الشاعر امرأة العزيز ، التي وصفها القرآن الكريم على هذه النحو مثلاً لدولة إسرائيل ، التي نازلت العرب في ثلاث حروب هي : (٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧) فانتصرت عليهم كما انتصرت امرأة العزيز ، وقدت قمصانهم من كل اتجاه[1] :

وامرأةُ العَزيز .. ؟ ؟
راوَدَت .. رجالَنا
- ثلاثَ مراتٍ -
فَقُدَّ مِنْهُمو القميصُ مِنْ قُبُل
وَقُدَّ .. مِنْ خِلاف

امرأة العزيز تتوحد مع إسرائيل في النص ، لتلقي عليها ما اتصفت به من صفات المكر والخديعة ، وانتهاز الفرص ، والأنانية وحبّ الذات ، والإغراق في المطامع والشهوات ، وقلب الحقائق ، واتهام (الغير) .. هناك مراودة وقميص وشق للقميص ، لكن امرأة العزيز راودت فتاها ، وقدّت قميصه من دبر .. وإسرائيل راودت رجالنا ، وقدّت قمصانهم من كل اتجاه ، مدبرين ومقبلين ، دليلا على البراءة وعلى الخيانة ، وربما البحث عن الشهوات ، وعدم الكفاءة في الحرب ، ولذلك حرص على ذكر عدد الحروب .

والمشهد على قصره واقتضابه .. عميق الدلالة ، قوي التأثير ، مهيج للألم في النفس ، والمرارة في القلب .. لأن الرجال الذين تغلبهم امرأة ثلاث مرات ، وتشقق ثيابهم على طريقة سحيم عبد بني الحسحاس ، هم أشباه رجال ، يطلبون لذتهم ، ولا يبحثون عن نصر بلادهم ، وعزة شعوبهم.

---

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٤٥) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٤٦) .

ج- نسوة المدينة :

شاع خبر امرأة العزيز في أوساط النساء في المدينة ، ولاكته ألسنة المجالس، ومجتمع النساء المترف يهمه دائماً أمر الحبّ وحديث المحبين ، ولاسيما في مثل هذا المجتمع ، الذي يقول فيه الرجل لزوجه الخائنة فقط : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف ٢٩] ، فدعتهن ليرين يوسف ، فأكبرنه وقطعن أيديهن ..

يسقط الشاعر هذه الحالة على واقع المرأة العربية في ظل الاحتلال ، وما أصيبت به عند غياب النخوة العربية ، فيقول [١] :

والنسوةُ اللاتي بَكَين

- يا نبيَّ الله -

صارَ طعمُهُنَّ .. آسناً

قطّعْنَ أيديهِن .. - يا لَها فُجاءة -

تفحُّ في الأحداقِ .. والعروق [٢]

أثداؤهُنَّ .. ؟ ؟

امتصَّها العزيزُ .. في رفاقِه

وامتصّها الأسيادُ والرقيق

والمشهد يدور حول فكرتين ، الأولى : النساء العربيات تحت الاحتلال – بكين – وقد طال عليهن العهد ، حتى أصبح طعمهن آسناً ، واعتدى المحتل على

(١) كالسابق .

(٢) فحت الأفعى فحاً وفحيحاً صوتت من فيها وفح النائم أصدر صوتاً في نومه والعامة يقولون : فحت الرائحة إذا عبقت .

كرامتهن ولم نفعل لهن شيئاً ، والثانية : إقبال الساسة والقادة على الشهوات ، وانشغالهم بالمتع عن مهمات الحرب ، وتحرير الوطن .

د – أخوة يوسف :

عنصر آخر من عناصر الشر في القصة ، وقد أراد يوسف أن يحتال لإبقاء أخيه الشقيق عنده ، فوضع الصواع في رحله ، ليتهمه بالسرقة ، ويأخذه جزاء سرقته يجعل الشاعر هذه الصورة معادلاً لحالة التآمر والخيانة في العالم العربي[1] :

يا سيِّدي ..
وعندما مدُّوا يداً .. إلَى الصُّواع
رأيتُهم ..
وكانَ في رحالِهم
لكنَّني .. ؟ ابتلعتُ صَرختي ! !
ولم أجد لقبضتي .. ذِراع
فتَّشتُ عن رُجولتي
في صدرِ ناهدٍ - نؤومةِ الضُّحَى - أضعتُها
في حانةٍ .. ومنتدَى للهو
- يا نبي الله -
بعد نصفِ الليل .. قد أرقتُها

يوظف المشهد في الحديث عن الخيانات والسرقات ، وبيع الحقوق والأوطان في العالم العربي ، وعدم القدرة على المقاومة أو مواجهة الحقيقة ، والجهر بها رغم

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٤٦) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٤٧) .

معرفتها بجلاء ، لأني " لم أجد لقبضتي .. ذراع " ، فقوة الأمة ومهارتها مصروفة في الليالي الحمراء ، والحانات الصاخبة ، والمنتديات الملتهبة ، وفي سكب الشهوات ، والتماس اللذائذ ..

هـ- رؤيا يوسف :

ويمكن أن يتولد من رحم المشهد السابق مشهد آخر جاء في النص مندرجاً في عباءته ، ولكنه مختلف عنه في الهدف والزمن .. فيوسف أصبح حاكم مصر ، واستطاع أن يفيد من أيام الرخاء ، وأن يدخر منها إلى أيام الشدة ، وتحققت له الرؤيا التي قصها على والده وهو صغير ، وهي سجود الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً له .. لكن النص الشعري - وحسب مقتضيات السياق - يغلق على خلاف النهاية السعيدة التي انتهى إليها في السورة ، فإن الواقع العربي ، ومجريات الأحداث تقتضي نهاية مأساوية حزينة ، يقول[1] :

يا سيِّدي .. ! !
خزائنُ الأرضِ التي مُكِّنتَ فيها
" سوَّسَت "
ولم تعُدْ تأوِي إلَى محرابك
الشمسُ .. ولا كانَ القمر
ولم تعُدْ ترتادُهُ الكواكبُ الإحدَى عشر
فمتَى .. تعودُ الشَّمسُ ..؟ ؟
والكواكبُ الإحدَى عشر

(١) السابق ، ص: (٤٧) ص: (٤٨) .

وتشربُ الزيتونةُ الخضراءُ

من ضوءِ القَمَر .. ؟

يشير إلى سوء التدبير - على خلاف سياسة يوسف المتقنة – فلم تستطع الأمة أن توفق بين الغنى والفقر ، وبين الرخاء والشدة .. ولكن من رحم الحزن والفشل تتولد الأمنيات ، والشمس والقمر والكواكب التي سجدت ليوسف ، وتأبى الآن أن تسجد .. لعلها تنتظر الوقت الذي يتحقق فيه المجد والنصر ، والعزة والكرامة ، وتتمتع الأرض المباركة - أرض التين والزيتون - بالحرية ، وتنعم بالاستقلال ، وعندئذ يحق لها السجود.

وقد تناول أحمد الصالح قصة يوسف ، في قصيدة أخرى عنوانها " أضغاث أحلام " ، ولكنه لم يعتمد على المشاهد أو التفصيلات ، كما فعل في هذه المعالجة، وإنما استدعى روح القصة القرآنية ، وعالجها عن بعد ، وعوّل على نثر كلمات رئيسة من القصة في النص الشعري ، الذي يمتد خمس صفحات (رؤيا / مرتين ، أيها العزيز/ ثلاث مرات ، أفتنا / مرتين ، أضغاث / مرتين ، بضاعة مزجاة / مرة واحدة ، غيابة الأحلام / مرة واحدة) فأشعلت بنورها الكلمات المجاورة ، وأوحت بمضمون الفكرة .. والنص التالي المقتبس من القصيدة يركز على موضوع الرؤيا ، ويجعله معادلاً موضوعياً لحالة البلبلة والغموض وعدم وضوح الرؤية أو القدرة على تفسير الأحداث يقول [1] :

لا زلتُ - أيُّها العزيزُ -

واقفاً علَى الأطلال

(١) عيناك يتجلى فيهما الوطن ، ص : (٦٦) .

أفتِنا .. بما ترَى
فأنتَ في فتواكَ مؤتمن
إليكَ تنتهِي الرؤيا .. أفتِنا
فنحنُ في هذا المَنامِ .. مُشفِقون
بسطتُ .. راحتي
بصَّرتُ .. مرَّةً .. ومرَّتين
ما وجدتُ للأضغاثِ من تعبير
قبضتُ .. راحتي
فكَّرتُ .. ما اهتديتُ بعد

" واقفاً على الأطلال " : تعبير مباشر وتقليدي لحالة الخراب والدمار والانهزام ، والشاعر لا يكاد يصدق ما يرى ، كأنه يعالج أضغاث أحلام ، ويريد تفسيراً لهذا الحلم المزعج ، ولأن الأمور بلغت حداً من التدهور والاختلاط ، فإنه يلجأ إلى العزيز ، صاحب التجربة العملية في تفسير الأحلام على يد يوسف الخبير.. يطلب منه الفتوى ، لكن العزيز عودنا أن تضم رؤاه مشاهد الفقر والقحط والجدب ، فيلجأ إلى قراءة الكف ، لعله يجد التفسير المطلوب - كما صنع من قبل حين استدعى العراف لعله يجيب عن تساؤلاته - ولكنه ينتهي من كل ذلك إلى لا شيء ، فالأمور غير قابلة للتعبير أو التفسير .

٢- قصة السامري :

هي جزء من قصة موسى عليه السلام ، وجهاده في هداية بني إسرائيل ، ولكن فيها من الكينونة والترابط ما يجعلها وحدة متكاملة ، تعكس ما فطر عليه القوم من ضعف الإيمان ، وسوء النية والتردد ، وخلف العهد ، وكلل البصيرة .

السامري رجل من بني إسرائيل ، أضلَّ قومه في غياب موسى ، لما عرف فيهم من الميل إلى الانحراف ، فهم الذين قالوا عندما أتوا على العمالقة ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف ١٣٨] فصنع لهم من حليهم عجلاً جسداً له خوار ، رغم تحذير هارون [١] ، فلما رجع موسى غضب أشد الغضب ، وسأله ، قال السامري : رأيت ما لم يروا ، فقبضت قبضة من أثر الرسول ، فنبذتها على الحلي .. فدعا عليه موسى : لا يمسُّ أحداً ولا يمسُّه أحد طوال حياته ، وأنذره بالعذاب يوم القيامة ، وأحرق العجل ، وذرَّاه في الهواء ، فتساقط في الماء الجاري ، ليؤكد لبني إسرائيل أنما إلههم الله الذي لا إله إلا هو ..[٢] .

هذه المعطيات شكَّل منها الشاعر مادة شعرية ، وظّفها في أكثر من قصيدة ، وفي أكثر من سياق ، ليخدم فكرته ويقوِّيها ، ففي قصيدته " انتفضي أيتها الجميلة " أراد أن يستنهض عزائم الشباب العربي ، ويبث فيهم الحمية ، لاستعادة بلادهم ، وإحياء مجد الأمة ، في وجه أعدائها .. فاستعار عبارة السامري ، حين اعتذر لموسى عن صنع العجل فقال[٣] :

خُذْ من فتوَّةِ الشُّجاعِ للجَبان
قارِبْ خُطاك ..
للقاءِ .. شاهدان
بَصُرْتَ بالذِي لَم يَبْصُرُوا بِه
ومالأثْكَ عاهراتُ الرُّومِ

(١) الموسوعة العربية الميسرة ، (سامري) .
(٢) انظر تفسير القرطبي ، الجامع لأحجام القرآن الكريم ١١/ ٢٣٢ ، ٧ / ٢٨٤ .
(٣) المجموعة الأولى ، ص : (٢٦٩) وديوان ، انتفضي أيتها المليحة ، ص : (١١٠) .

– بُعداً –

أعلنُوا - يا سيِّدي - ما جئتَ

أو ما قد تجيءُ .. في بيان

كل ما تحتاجه الأمة هو الثبات والتمسك بالحق ، يدرك ذلك كل من غلغل النظر ، ومحّص الفكر في واقعها ، وعرف ما لم يعرفه الآخرون ، وقاد غيره إلى ما يريد هو - كما فعل السامري - فقد تمالأ الغرب على عداوة العرب ، وأصدر القرارات بحقهم ، حضروا أم غابوا على حد قول جرير[1] :

وَيُقضَى الأمرُ حِينَ تَغيبُ تَيْمٌ وَلا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُم شُهُودُ

وأبرز الشاعر من خلال ما فعل السامري ضعف الإيمان عند بني إسرائيل ، وعدم ثبات الشخصية ، والتلاعب بالقيم والفضائل ، وقلة الوفاء بالعهد ، وسرعة الانقلاب إلى الرذيلة ، وحب المال والذهب ، والصلة القوية بعبادة العجل .

في قصيدة "عاشق يرقص في سافوي" التي تحدث فيها عن الفدائي الفلسطيني يصور الشاعر المجتمع اليهودي على أنه ما زال عاكفاً عل فتنة السامري ، بعيداً عن الله ، مخالفاً تعاليم موسى ، مستضعفاً من بعده هارون ، فجاء الفدائي ، ليوقظهم من هذا السبات ، يقول على لسانه[2] :

تسرَّبتُ مثلَ رياحِ الشَّمال

كما الموجُ فوقَ رصيفِ الرِّمال

كما الهمسُ في سَبَحاتِ الخيال

وفي أعينِ العاكفينَ علَى فتنةِ السَّامريّ

(١) ديوانه بشرح ابن حبيب ١/ ٣٣٢ تح / د. نعمان محمد أمين دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٦٣) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٦٦) .

والعاكفون على فتنة السامري .. هم رواد الفندق المقامرون والمضاربون والتجار وحائكو المؤامرات ، وطالبو الشهوات والملذات .. المجتمع اليهودي الذي لا يحتكم إلى القيم ، السادر في غيه وظلمه وعدوانه.

ويصور فشل كل محاولات التقرب إلى اليهود ، وتقديم التنازلات لهم ، وعدم جدوى الوسائل والحلول والإغراءا ت .. بما قام به موسى من البرهنة على دعوته ، وما قام به السحرة من أعمال بهروا بها أعين الناس ، وبما قام به السامري – بمهارة - من إقناع بني إسرائيل بعبادة العجل ، وصرفهم عن عبادة الله لأن اليهود لم يتوقفوا عن مخططاتهم بقتل الأبرياء ، وقضم الأرض ، وإقامة المستوطنات ، رغم كل المحاولات والوسائط [1] :

و" كافورُ" في الرَّدَهاتِ .. ؟ !
ينادمُ في مَجْمَعِ المذنبينَ العصاةِ
مئاتِ الخصيِّ
ينادمُ في لهوِه .. الساقطين
وحتَّى الثمالة .. نادمَ
ألقَى الحبالَ لديهم
وألقَى مئاتِ العصيّ
فما أفلحَ السحرُ
حتَّى ولا أفلحَ " السامريّ "

محاولات التهدئة والاسترضاء مهما بلغت من الفن والإتقان والإقناع ، لم تجد

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٢٢٩) وديوان ، انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٥٨) .

مع اليهود ، حتى لو كانت في درجة حقائق موسى ، وحيل سحرة فرعون ، ودهاء السامري الذي نقل بني إسرائيل من عبادة الله إلى عبادة العجل .

وانتصار اليهود وظهورهم في هذا العصر ، أعاد للعجل مكانته في تاريخهم ، وأعاد إلى الأذهان عصر فرعون وظلمه ، يقول ول ديورانت[1] : " إن بني إسرائيل لم يتخلوا قط عن عبادة العجل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم ، منذ كانوا في مصر ، وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان رمزاً لإلههم .. وقد بقيت عبادة العجل في حياة بني إسرائيل تتجدد من حين إلى آخر " [2] :

صلاحَ .. الفتوحِ ..! !
أعادَ الزمانُ .. ؟ !
لفرعونَ حكماً
وللعجلِ قَـدْراً
لياليكَ .. ؟ ! كانت حديثَ الرُّواةِ
جهادُكَ في مَسمعِ الأرضِ نصرٌ
حصانُكَ يصهلُ في كلِّ دربِ
وسيفُكَ .. بالحقِّ قد كانَ أدرَى

ثنائية تعتمد على الصور المتقابلة لزيادة الضوء على كل منها .. الأولى : الماضي المظلم ، والمغالطة المكشوفة .. فرعون رمز الطغيان ، والعجل رمز الردة والوثنية والكفر .. والأخرى : الجهاد والعدل .. صلاح الدين الذي حرر الأوطان ،

(١) قصة الحضارة ٣٣٨/٢ نقلاً عن مقارنة الأديان / اليهودية ، ص : (١٨١) .
(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٢٣٣) وديوان ، انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٦٢) .

وأضاء الظلام ، وحقق النصر ، وما أحوجنا اليوم إلى عزمه وسيفه ، ليعود الحق إلى أهله كما كان .

وبنو قريظة نكثوا عهد الرسول ﷺ ، وألبوا عليه القبائل ، وأغروهم بحربه واستئصاله ، وهو الدور الذي تقوم به إسرائيل اليوم .. فكم استعملوا سلاح المال وإغراء الذهب ، وعاد للعجل بريقه الذي يستقطب النفوس ، ويقدم طعماً للسذج والبسطاء [1] :

وبنو قُريظة .. ؟ !

أولمتْ " كافورَ "

عجلاً لا يخور

وقدَّمَتْهُ إلَى " عُزير "

تائباً .. عن خيرِ ما يُؤتى

وفي شفتيهِ رائحةُ السَّيِّيء

تزدحم الرموز في هذا النص القصير لتكثّف الدلالة ، وتنوّع الصور ، وتوسّع المضمون .. بنو قريظة – كافور – العجل – عزير .. في ظلالها التراثية تلقي محمولاتها على المفاهيم المعاصرة : إسرائيل - المتعاملون معها - إغراءات الذهب – الخروج عن الصف – اختلاط الأمور ، بحيث لا يعي كافور ما يصنع ، كالنشوان الذي تفوح منه رائحة الخمر ، فالذهب والمال تعمي البصيرة ، وتشل العقل ، ولهذا كان عجلاً لا يخور ، إشارة إلى السرية في مثل هذه المعاملات عادة .

وجعل الشاعر انتصار العرب ودخولهم إلى سيناء في حرب (٧٣) بمنزلة انتصار

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٢١٩) وديوان ، انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٤٦) .

موسى على السامري ، حين فعل ما فعل ، فدعا عليه موسى ، وأوعده بالعذاب، وأحرق عجله الذي فتن به الناس[1] :

سقطَ الغفرانُ .. ؟
هل يدخلُ بعدَ اليومِ .. للمحرابِ .. " عيسَى "
والعذارى .. ؟ هل يُجَرْجِرْنَ الذُّيولا ؟
ويعُبُّ السَّامريُّ .. الذُّلَّ
" غسَّاقاً "
ويلقَى .. مرتعَ الظُّلمِ وَبيلا

وواضح أن النص يوحد بين السامري وإسرائيل ، لتشابه الحالة ، فكلاهما قدم عملاً سيئاً ، ثم فال ظنه[2] ، وخاب تدبيره ، وتحولت الظروف ، وتجرع الكأس التي كان يكيل بها لخصمه ، وذاق مرارة الهزيمة والاندحار ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص ٥] و" غساقا " تعبير قرآني معبر بدلالته وصوته ، مبالغة في وصف الذل ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ ٢٥] .

٣- بلقيس ملكة سبأ :

بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من حمير ، ملكة سبأ ، يمانية من أهل مأرب، وليت الملك بعد أبيها ، حكمت اليمن ، وزحفت بجيشها على بابل وفارس ، ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل ٢٣] ، كانت هي وقومها يسجدون للشمس من دون الله .. بلغ خبرها سليمان ، فأتى بها من اليمن ،

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٥٠- ٥١) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٥١- ٥٢) .
(٢) فال رأيه : يفيل فيولة وفيلة : أخطأ وضعف .

فلما دخلت الصرح حسبته لجة ، فكشفت عن ساقيها ، فقيل إنه صرح ممرد من قوارير ، فآمنت مع سليمان وتزوجها، وأقامت معه سبع سنوات ، ثم ماتت ، قيل كان موتها بعد (٢١) سنة من ملكه ، ودفنت في تدمر[١].

لبلقيس بوصفها امرأة عربية قوية ، ذات رأي سديد ، ملكت في دولة غنية وثرية ، وترددت من الكفر إلى الإيمان ، ومن الزعامة إلى التبعية ، وقادت قومها في الحروب .. لها في الشعر الحديث حضور بارز ، وظّفت في أغراض شتى ، عرضت لبعض ذلك في بحث " استلهام القرآن الكريم في الأدب الحديث بين التحريف والتوظيف "[٢]

ورد اسم " بلقيس " أكثر من ست مرات في قصائد متعددة عند أحمد الصالح واختلفت فيها مستويات التوظيف والاستدعاء ، من الصورة التشبيهية إلى التوظيف الفني على حد قوله متغزلاً [٣]:

الحُسْنُ فِي أهدابها بَيْتٌ مِنَ الأشعارِ ثانِي
هلْ هذهِ بلقيسُ تَخْطِرُ.. فِي دَلالٍ واتِّزانِ؟

فهي هنا لا تعني أكثر من تشبيه صاحبته التي يتغزل بها ببلقيس في دلا لها واتزانها ، ولكنه يرتفع بها في الشعر الوطني إلى مستوى الاستدعاء الراشح بالدلائل والمعاني ، فهي طوراً تمثل الحدود المستباحة ، والحرمات المنتهكة .. يخاطب الأمة المهيضة المحتضرة في قصيدة " قراءة في الزمن الغابر " فيقول [٤]:

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة (بلقيس) .
(٢) استلهام القرآن في الأدب الحديث بين للتحريف والتوظيف ، ص : (٣١) .
(٣) المجموعة الأولى ، ص : (٢١٧) وديوان ، انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٤٣) .
(٤) المجموعة الأولى ، ص : (٥٦) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (٥٨- ٥٩) .

أشيلُكِ [1]
منذُ مررتِ منَ الصُّلبِ بينَ التَّرائب
وحينَ بدأتُ أغارُ عليكِ
أتَى شهريار
وبلقيسُ
تدرِي إلى أين .. ؟
فانتظري الحبَّ يأتي
ففي ساعةِ النَّزعِ تأتِي العجائب

شهريار ذلك الملك الذي كان يقتل كل يوم في ألف ليلة وليلة عذراء يتزوجها انتقاماً لنفسه من خيانة زوجته له.. حتى جاءت شهرزاد ابنة وزيره فضحّت بنفسها وشغلته بقصصها عن فعله .. بلقيس هنا هي شهرزاد ، التي تعرضت للخطر لتدافع عن بني جنسها ، هي الأرض التي استولى العدو ، وأصحاب الأرض الذين تصدوا له .. وشهريار ذلك العدو النهم الذي لا يشبع من قضم حقوقنا ، واستلاب أرضنا ، كما كان يصنع شهريار الأول بأرواح العذارى .

وتمثل بلقيس في بعض شعر الصالح الكرامة العربية المهدرة ، التي يتاجر بها بعض العرب المتواطئون مع العدو ، والمتهاونون في الحقوق ، المنتسبون إلى الأمة زوراً وكذباً [2] :

يا أبا الطَّيِّب .. ! !
هذا .. تختُ " بَلقيس "

(١) شالت الناقة بذنبها : رفعته ، وشال المتاع رفعه وحمله .

(٢) المجموعة الأولى ، ص : (٢٢١) وديوان ، انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٤٨- ٤٩) .

وكافور .. ؟ !

يبيعُ التختَ في سوقِ المزاداتِ

كأسلابِ سبيَّة

إنَّ في عينيهِ أمراضَ النخاسات

وفي أذنيهِ .. يدمَى الجرحُ

ما اهتزَّت بِه النَّخوةُ .. يوماً

أو سَرَت فِي نَبضِهِ روحُ الحَميَّة

وبلقيس هي القضية العربية ، يأجرونها طالبي الشهوات فقد مات فيهم الإحساس بالغيرة والدفاع عن العرض.. وهاهم يتركون القضية مضرجة في أكفانها، وجسدها ما زال رطباً ، حديثة الموت ، ويشتغلون بما بينهم من الخلافات السياسية ، وتبادل التهم ، والتصارع في المصالح ، والتعدد في الآراء ، وإيثار الذات على المصلحة العامة أو القومية ، فلا عجلوا دفنها ، ولا عملوا للدفاع عنها [1] :

قالَتْ حَذامِ :

" أمرتُهُم أمرِي بِمُنعرجِ اللوَى "

نَفَضوا أكفَّهُمو

وداكُوا الأمرَ فيما بينَهم

وتذاكَروا ..؟ ؟ مأساةَ " صفِّين "

وللأحداثِ رائحةُ النَّسيء

(١) المجموعة الأولى ، ص : (٢١٨) وديوان ، انتفضي أيتها المليحة ، ص : (٤٥) .

والخيلُ .. ؟ ؟
عاكفةٌ علَى أكفانِ " بلقيس "
تسفُّ دموعَها
والنوقُ ..؟ ؟
أغطشَ حزنُها شمسَ الظَّهيرة
والمروءةُ لا تجيء

وكأنما كتب على هذه الأمة أن تعيش في مختلف عصورها منذ صفين حتى اليوم حالة التشرذم والتناقض والاختلافات ، وتنشغل عن قضيتها الكبرى / بلقيس ، بما ينجم بينها من التمزق والشتات .

وطوراً تبشر بلقيس بالنصر ، وتؤمل بالغلبة ، وتعد بالتحول ، كما انتقلت هي من الكفر إلى الإيمان ، وكما عرفت الصرح الممرد بعد أن حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لخوضه ، وكما يأتي الضياء بعد الظلام [1] :

حدَّثتْ .. بلقيسُ .. ؟ !
عن صرحٍ .. مُمَرَّد
عن شياطينٍ وَجِنَّة
كشفَتْ .. ساقَين
- بلقيسُ -
أفاضَتْ ..
كلُّ صبحٍ يأتِي .. مِنْ بعدِ دُجُنَّة [2]

(١) المجموعة الأولى ، ص : (١٣٥) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (١٤٦) .
(٢) الدجنة كحُزُقّة وبكسرتين : الظلمة وأقبح السواد والغيم المطبق المظلم .

واقع الأمة هو واقع بلقيس حين كانت تسجد للشمس من دون الله هي وقومها.. واقع الصرح المجهول الذي يبدو كأنه لجّة ، فيدعو إلى الشك والحيرة والمخاطرة .. واقع الليل الحالك الظلمات ، الذي لا يهتدى فيه إلى طريق .. ومما يزيد الأمر تعقيداً في هذه الكفة ، أو في هذا الواقع ، ذكر الشياطين والجن ، خاصة أن سليمان قريب العهد بالذهن حسب السياق .. ولكن " بلقيس " المجربة .. الخبيرة بالأمور ، تبشر الأمة بنور الإيمان ، وبانجلاء حقيقة الصرح الممرد ، وإشراق الصبح المنير ، ولهذا نجد الأعراب يبحثون عما عند بلقيس من أخبار[1] :

قالتِ الأعرابُ :

يا بلقيسُ .. !! ما للقومِ .. أمر

قالتِ .. المأساةُ .. !! إن اليومَ خَمر

قالتِ .. الآفاقُ .. .. مـــــــــر

ولعلها نبوءة تصدق ، وأمنية تتحقق ، وليس ذلك على الله بعزيز .

السمات الفنية :

١- يظهر من النماذج التي استعرضناها أن الشاعر اعتمد لغة سهلة ميسرة لا تعقيد فيها .. الألفاظ مألوفة وقريبة ، والتراكيب ليس فيها التواء أو معاظلة ، تؤدي إلى غموض أو خفاء في المعنى ، وهو في الوقت نفسه لم يسهل ليصل إلى العامية أو الابتذال في الاستعمال .. وبناء على الموضوعات التي عالجها دخلت عليه ألفاظ سياسية متصلة بالأفراد أو بالأماكن .

ولحرصه على سلامة لغته واختيارها ، ومما يعكس في الوقت نفسه ثقافته

(١) المجموعة الأولى ، ص : (١٣٨) وديوان : عندما يسقط العراف ، ص : (١٤٩) .

اللغوية ، ومعجمه الشعري ، وقائمة المفردات عنده.. نجد بعض الكلمات غير المألوفة أو التي فيها قدر من الغرابة ، مثل : – يقتاد دايان – تسربلوا بالإفك – فتن تمور - يمتح ماء وجهنا- ينضح – ما تُجِنُّ بنو قريظة – ما هرقل قد أجَنَّه – كل صبح يأتي من بعد دُجُنَّة.. وربما احتاج بعضها إلى استشارة المعجمات مثل : شسع حذاء - يثجُّ نزيف الجراح – يثجُّ في حلوقنا الصديد – يثلعُ الجراح - الريح تؤجُّ – بؤجُّ في الضلوع – يؤزُّنا - يطمثُ فيكم عرباً – السبيء / الخمر ، يدل على ذلك أن جهاز الحاسوب قد وضع خطوطاً حمراء تحت أكثر هذه الكلمات .

٢- يستعمل الشاعر علامات الترقيم لتكميل الدلالة اللغوية الوضعية للكلمات كالنقط .. وأكثر ما تأتي في شكل نقطتين بعد الأسماء والأماكن ذات الأبعاد الدلالية وبعد بعض الأفعال المحورية في النص .

وعلامات التعجب والاستفهام ، فيكرر العلامة في موقعها مرتين " ؟ ؟ " أو " ! ! "، وقد يجمع بين علامتين مختلفتين" ؟ ! "، ومن الطريف أن يضع أحياناً علامة الاستفهام على الجملة الخبرية ، التي لا تحمل أية أداة من أدوات الاستفهام، ليحمِّلها مفهومي الخبر والإنشاء معاً ، وكثيراً ما يضع علامة الاستفهام بعد الكلمة الأولى من الجملة سواء اشتملت على أداة استفهام أم لا ، ثم يبدأ بسطر جديد ..

ومن وسائله التعبيرية الملحوظة .. تقطيع الجملة فيأتي المبتدأ في سطر مستقل أو في آخر جملة سابقة ، ثم يأتي الخبر منفرداً أو مع توابعه في السطر التالي، ويأتي ذلك قوياً ملحوظاً مع الفاعل (الذي يسميه النحويون مبتدأ) عندما يكون الخبر جملة فعلية ، وكل ذلك يحدث في النص " دراما فنية " تستقطب اهتمام المتلقي

وتجعل له حضوراً ومشاركةً .

وقد يلجأ إلى التحكم في موقع السطر الشعري ، بالتقديم إلى اليمن مما يعني أهمية مضمونه ، أو استقلاله نسبياً عن غيره ، أو بالتأخير قليلاً إلى اليسار مما يعني تبعيته للسطر السابق ، وأنه متمم لمعناه ، ويدخل في ذلك الجمع بين شعر التفعيلة والشعر العمودي في بعض هذه القصائد كقصيدة " عاشق يرقص في سافوي " وقصيدة " المجد أنت والحجارة صولجانك ".

وما أحسب المخالفات اللغوية الواضحة ، التي كان يعمد إليها عمداً ، إلا رغبة منه في تهشيم المألوف - أو كسر البناء- للتأثير في المتلقي وإيقاظه ، وجذب اهتمامه .. كتعدية الفعل اللازم بنفسه ، والاستغناء عن حرف الجر ، كقوله : راحيل تبيع الشهوة السياحَ في القدس – يأتي عمرو يصلي الناسَ صلاة الفتح – يُغَنِّيها أشعارَ الضِّليل- إني سكنت حبيبتي - رفضتُ احتلالكِ صبري – أو العكس كقوله : مدّوا إليكِ ببغيهم .. وكذا تأنيث المذكر كقوله : من يأتيك .. بأبيات من الشعر وسيف عربية - حتى تقول الأرض : لا حجر هناك ولا هنا بقيت حجر – قالة سوءٍ وَلَغْنَ .. (مع أن قالة جمع قائل ، كباعة وبائع) - تنمرت في أرضك الجبناء – كسبت غلمان الآبق .. رهان (الأخيران من الجائز على خلاف الظاهر) ولعل من ذلك أيضاً : فتشت عن رجولتي في صدر ناهدٍ نؤومةِ الضحى (نؤوم الضحى لأنها فعول بمعنى فاعل يستوي فيها المذكر والمؤنث) .. ومن ذلك وجود كلمات تشم منها رائحة العامية الدارجة مثل : تفحُّ في الأحداق والعروق - خزائن الأرض التي مكّنت فيها سوّست – أشيلكِ منذ مررت من

الصلب بين الترائب .. يقول الدكتور محمد مندور [1] : " يباح الخروج على القواعد لكبار الكتاب ، الذين لا يعدلون عنها إلا عن قصد وبينة .. ومن النقاد .. من يرى أن اطراد الصحة اللغوية بمعناها الدارج ، لا يصدر إلا عن أسلوب مسطح ، لا جدة فيه ، ومن الخير أن تأخذ الكاتب من حين إلى حين ، نزوة من شيطان الأدب ، تخرج به عن التعبير المتوقع المألوف " .

٣- تحدثنا فيما سبق على مفردات الثقافة اليهودية ، في شعر أحمد الصالح ، والمتأمل فيها يجد : أنها مفردات من الثقافة العربية والإسلامية ، متصلة بثقافة اليهود وحياتهم وتاريخهم .. استمدها الشاعر من مخزونه التراثي والديني ، ولم يخرج عن طابع هذه الثقافة ، التي يمكن أن نسميها " المحلية " .. فلم يلجأ إلى مصادر أجنبية أو يهودية أثناء تعاطيه مع هذه المفردات ، أو في محاولة استدعاء مادة جديدة ، ليخدم موضوعه ، ويقوي فكرته ، وفي ذلك ما يدل على ثلاثة أمور :

- تمكنه من الثقافة العربية والإسلامية عامة ، بحيث أمكنه أن يستدعى هذه القدر الكبير من الآيات والوقائع والأحداث .
- لم يخرج عن هذا النطاق ، ربما لكسل في الثقافة ، وعدم الطموح للاطلاع على ما لدى الغير .. وإما لعدم توافر الأدوات اللازمة ، وفي مقدمتها اللغة ، وهذه ظاهرة عامة يعانيها أكثر شعرائنا المعاصرين .
- وربما كان ذلك ، بسبب الحساسية في هذه القضايا ، لاتصالها بأمور العقائد والأديان ، أو لعدم الثقة بمصادر أخرى غير لإسلامية ، يستمد منها الشاعر مادته ومكونات موضوعه .

(١) د. محمد مندور ، في النقد والأدب ، ص : (٢٤- ٢٥) دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٨ .

٤- يظهر مما سبق أن ظاهرة الاستدعاء والتوظيف الفني عند أحمد الصالح تبرز على الخصوص في الشعر الوطني / القومي ، المتصل بقضية القدس وفلسطين والمقاومة ونحو ذلك ، ويختفي في شعره الآخر – الغزل ، الرثاء ، الإخوانيات - فلا نكاد نقع فيه على أثر .

٥- في استلهام آيات القرآن الكريم فيما مر بنا نجد الشاعر يضع الآيات في المسار التي وردت فيه ، والهدف الذي سيقت من أجله ، دون أن يمس مضمونها ، أو يغيِّر في معناها ، أو ينحرف بدلالتها ، وإن حدث فإنه لا يلجأ إلى قلب المفاهيم والعبث بآيات القرآن الكريم – نعوذ بالله من ذلك - ومن ذلك على سبيل المثال :

- جعل الأخوة في قصة يوسف يأخذون الصواع " وعندما مدّوا يداً.. إلى الصواع .. رأيتهم .. وكان في رحالهم " وهو إنما وضع في رحل بنيامين لاتهامه بالسرقة ليبقيه يوسف عنده .
- القصة في القرآن الكريم تختم بتفسير رؤيا يوسف " سجود الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [يوسف ١٠٠] .. ولكن الشاعر في قصيدته يتوقف عن إثبات السجود لا ليناقض القرآن الكريم ، بل ليعبِّر عن حال الأمة وأنها في حالة انكسار وتراجع ، ولم يحن السجود بعد .
- أوهم أن عصا موسى من السحر عندما وصف محاولات من تقرب إلى اليهود من العرب بقوله : نادمَ .. ألقَى الحبالَ لديهم .. وألقي مئاتِ العِصيّ

.. فما أفلح السحر " ولا سيما أن الكلام جاء بلفظ المفرد ، وما جاء في القرآن عن السحرة جاء بصيغة الجمع ومعطوفاً على الحبال ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء ٤٤] .

لكن ذلك لا يصدر من الشاعر عن سوء نية ، ولا يمس عقيدة ، ولا يقاس بما فعله مجموعة من الشعراء ، من ليّ مفهوم الآيات ، وقلب محتواها ، وتحريف هدفها " فحمّلوها مضامين بعيدة عن سياقها ، وانحرفوا بها عن غايتها ، وجاءت على عكس ما سيقت له ، وعلى خلاف ما وردت فيه ، مما يمس الفكرة وصلب المعنى " [1] ، وقد تضمن بحثي المشار إليه نماذج من الأعمال التي نحت هذه المنحى .

٦- أكثر مستويات التوظيف والاستدعاء عند الشاعر يقوم على تسجيل اللمحة العابرة للشخصية أو الحدث أو الآية الكريمة ، دون عرض التفاصيل والأجزاء ، ومحاولة مقارنتها بعناصر المشهد المعيش الذي يتحدث عنه ، أو مطابقتها على جوانب الحياة السياسية ، وهذه العملية هي أدنى مستويات التوظيف الفني ، ولكن الشاعر استطاع من خلالها أن يجسم أفكاره ، وأن يبتعد كثيراً عن المباشرة والنبرة الخطابية ، وأن يقدم لنا آراءه مظللة في كنف صور ، تعجّ بمؤثرات دينية وتاريخية واجتماعية ، وأن يخلع أردية الماضي على الحاضر ، فيتمدد بها ويتلون ، ويصبح معها أكثر تعبيراً ، وأقوى دلالة .

٧- وهذه السمة تقود إلى سمة فنية أخرى هي من لوازمها ، حيث مكّنه

(١) بحث " استلهام القرآن في الأدب الحديث بين التحريف والتوظيف ، ص : (٩) .

ذلك من تكثيف الإشارات ، وتجاورها في النص الواحد ، وغالباً ما نجد تظاهرة تراثية حاشدة ، تتكون من اجتماع هذه الرموز ، وتراسلها في المعنى على صعيد واحد ، مما يصعد النص ، ويرتقي به إلى الهدف ، على نحو قوله :

بنو قريظة .. أولمتْ كافور .. عجلاً لا يخور .. وقدَّمَتْه إلى عزير

وقوله : يا حذامِ .. ضاجعوا قطرَ الندى .. في القدس .. وافتضّوا الخيول العربية .. قرءوا التلمودَ .. في الجامع قهراً .. رقصوا في قبَّة الصخرة عُرياً ..

وقوله : تأتيكم مائدةٌ في شسعِ حذاءٍ ملعون .. تأتيكم حيتانُ السَّبتِ .. يستحييكم بيجن .. يستحييكم فرعون .. .. إلى غير ذلك .

٨- الاستدعاء القائم على توظيف جميع العناصر أو أكثرها ، وتوزيعها على عناصر الواقع ، يمكن أن نجده إلى حد كبير ، في الحديث عن بلقيس والسامري ، وبشكل أوضح وأكثر شمولاً ، في قصة يوسف عليه السلام ، ولهذا حرص الشاعر على استدعاء يوسف خمس مرات في أثناء القصيدة بأسلوب النداء " يا سيدي .. يا نبي الله " ليظل المتلقي على وعي بوجود الشخصية الرئيسة في النص ، وترابط أجزاء القصيدة ، ومحوريتها حول النص القرآني ، وتتبع أجزائه ، ونلحظ من خلال ذلك نقطتين جوهريتين هما :

- لا يقتضي التوظيف الكلي أو الشامل استقصاء جميع العناصر والأحداث والشخصيات في النص المستعار ، وإنما يكتفي بأغلب العناصر ، ولاسيما المطابقة للمعادل لها ، وعلى سبيل المثال لا نجد في نص الصالح ما يشير إلى احتيال الأخوة لأخذ يوسف ، ولا إلى حادثة الجبِّ ، ولا موقف الوالد في البدء ولا في الختام.
- لا يلزم ترتيب المشاهد والأحداث حسب ترتيبها في النص المعار ، فقد

تقتضي تداعيات البناء الفني عند الشاعر التقديم والتأخير ، وليس في ذلك حرج ، وبالنسبة لقصيدة أحمد الصالح ، فقد بدأ بالسبع العجاف ، وهي وسط في القصة القرآنية ، وثنّى بامرأة العزيز ، وهي قبل السبع العجاف ، وانتهى بالرؤيا وهي بداية ربما ليجعل منها الخاتمة المناسبة لموضوعه ..

* * *

الخاتمة :

سِرنا مع أحمد صالح الصالح في هذه الظاهرة الفنية " توظيف الرؤية الإسلامية للثقافة اليهودية في الدفاع عن القدس " من خلال دواوينه الخمسة : عندما يسقط العراف ، انتفضي أيتها المليحة ، عيناك يتجلى فيهما الوطن ، قصائد في زمن السفر، من الأشعار الأولى "، وقد اتضح أن الدواوين الثلاثة الأولى حفلت بموضوع البحث أكثر من غيرها ، وقد برزت الظاهرة عند الشاعر كما تجلى في هذا البحث في خمسة محاور :

- توظيف شخصيات معاصرة كان لها دور في مجرى الأحداث ومحطات الصراع بين العرب وإسرائيل .
- توظيف شخصيات تراثية اقترنت بالفكر والتاريخ اليهودي أو مثلت سلوك اليهود عبر مراحل التاريخ أو ناصبت الوجود العربي والإسلامي العداء.
- توظيف الأمكنة والأزمنة المخضبة بالحوادث والوقائع فيما يتعلق بالصراع بين الجانبين ، وما ينبعث منها من الظلال والدلائل التي أمكن الإفادة منها.
- العقائد والشعائر عند اليهود ودلالتها على أخلاقهم في التعامل مع الغير وتكوينهم النفسي والسيكولوجي وأثر ذلك في طبيعة الصراع .
- القصص القرآني ، وقد شغلت قصص بني إسرائيل مكاناً بارزاً في كتاب الله ، وأفاد الشاعر بشكل ملحوظ من قصة السامري وبلقيس بحكم صلتها بسليمان وقصة يوسف عليه السلام
- ختمت هذه المحاور بالحديث عن السمات والخصائص الفنية التي تجلت عند الشاعر من خلال توظيف هذه العناصر ، وقد أمكن الوقوف على ثماني سمات رئيسة .. والله أسأل أن يوفق الجميع إلى الخير .

فهرس المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم .

٢- ابن الأثير (ت : ٦٣٠) أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، **الكامل في التاريخ** ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨.

٣- أحمد صالح الصالح " مسافر " **ديوان " انتفضي أيتها المليحة**" دار العلوم الرياض ١٤٠٢هـ.

٤- أحمد صالح الصالح " مسافر " **ديوان " عندما يسقط العراف**" دار المريخ الرياض ، القاهرة ١٣٩٨.

٥- أحمد صالح الصالح " مسافر " **ديوان " عيناك يتجلى فيهما الوطن** " دار العلوم ، الرياض ١٤١٨ .

٦- أحمد صالح الصالح " **مسافر " قصيدة " لا .. الياسين في يوم الزينة** " مخطوطة بعث بها الشاعر إلى الباحث.

٧- أحمد صالح الصالح " مسافر " **ديوان** " المجموعة الأولى " ١٤٢٥لم يحدد الناشر.

٨- د. أحمد شلبي ، **مقارنة الأديان / اليهودية** ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢/٧

٩- اللواء . أحمد عبد الوهاب ، **رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام** ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٢.

١٠- د. أحمد يوسف القرعي ، **عروبة القدس في عيون الرحالة العرب والأجانب** ، كتاب في جريدة ، صحيفة الرياض عدد (٨٥) الأربعاء ٢٠٠٥/٩/٧.

١١- الباقلاني (ت : ٤٠٣) أبو بكر محمد بن الطيب ، **إعجاز القرآن** ، تح/ السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر ١٩٨١.

١٢- البكري (ت : ٤٨٧) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، **معجم ما استعجم** ، تح/ مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ٣/ ١٤٠٣هـ.

١٣- جرير بن عطية (ت : ١١٠) بن حذيفة الخطفي ، **ديوانه بشرح محمد بن حبيب** ، تح/ د. نعمان محمد طه أمين ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧.

١٤- د. روهلنج ، **الكنز المرصود في قواعد التلمود** ، ترجمة / د. يوسف نصر الله ، دار القلم ، دمشق ١٤٠٨ وكانت الترجمة سنة ١٨٩٨بعد مؤتمر بال بسويسرا بعام واحد.

١٥- الزركلي (ت : ١٩٧٦) خير الدين ، **الأعلام** ط (٣) طبعة خاصة.

١٦- زهير بن أبي سلمى (ت : ١٣ق.هـ) **ديوانه بشرح ثعلب** ، الهيئة العامة للكتاب ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٤.

١٧- زياد عبد الله الدريس ، **قصيدة " فعيل العرب "** مجلة المعرفة عدد (٦٦) .

١٨- د. محمد شفيق غربال ، ومجموعة من الباحثين العرب ، **الموسوعة العربية الميسرة** ، دار نهضة لبنان ١٤٠٦.

١٩- ظفر الإسلام خان ، **تاريخ فلسطين القديم** ، دار النفائس بيروت ١٣٩٣.

٢٠- د. عبد الله الفيفي ، **حداثة النص الشعري في الملكة العربية السعودية** ، إصدار نادي الرياض الأدبي ١٤٢٦ .

٢١- د. عبد المعطي صالح ، **الحوار الشعري .. بين ثلاثة شعراء** ، مجلة فيولوجي / محكمة ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس عدد يناير ٢٠٠٧.

٢٢- د. فضل عمار العماري ، **العلاقات الأدبية بين العرب واليهود** ، مكتبة التوبة ، الرياض١ / ١٤٢٢.

٢٣- القرطبي (ت : ٦٧١) أبو عبد الله محمد بن أحمد ، **الجامع لأحكام القرآن** ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.

٢٤- لويس معلوف ، **المنجد في اللغة** ، الطبعة الجديدة ، د. ت.

٢٥- مجمع اللغة العربية ، **المعجم الوسيط** ، المكتبة الإسلامية ، استنبول ، تركيا.

٢٦- محمد خليفة التونسي ، **بوتوكولات حكماء بني صهيون** ، مكتبة دار التراث ١٩٧٧.

٢٧- د. محمد عبد الله منور مبارك ، **استلهام الشخصيات الإسلامية حتى آخر القرن الثالث الهجري في الشعر الحديث** ، ملخص رسالة دكتوراه ، مجلة كليات المعلمين ، محرم ١٤٢٢.

٢٨- د. محمد مندور ، **في الأدب والنقد** ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٨.

٢٩- د. محمود إسماعيل عمار ، **استلهام القرآن في الأدب الحديث بين التحريف والتوظيف**، بحث محكم / مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط فرع جامعة الأزهر .

٣٠- د. محمود إسماعيل عمار ، **صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي** ، إصدار نادي أبها الأدبي ١٤٢٤.

٣١- الميداني (ت : ٥١٨) أبو الفضل أحمد بن محمد ، **مجمع الأمثال** ، تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤.

٣٢- ابن هشام الحميري (ت : ٢١٨) أبو محمد عبد الملك ، **السيرة النبوية** ، تح/ مصطفى السقا وآخرين ، مؤسسة علوم القرآن . د . ت .

٣٣- وليم كار ، **الدنيا لعبة إسرائيل** ، الناشر : كولوز فيوز كومباني . بيروت ، د. ت.

* * *